ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [0.88].

مصر وفلسطين في رحلة البلوي (ت. قبل ٧٨٠هـ) دراسة مقارنة

د. عمار مرضي علاوي
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي
قسم التاريخ – كلية الآداب
الجامعة العراقية – جمهورية العراق

مُلَخّصْ

امتاز عصر المماليك (١٢٥٠ -١٥١٧) بكثرة عدد الرحالة سواء كانت للعلم أم للتجارة أو للحج والعمرة وغيرها، بسبب التسهيلات التي منحتها دولة المماليك فضلاً عن تأمين الطرق والمرافق العامة التي تخدم ذلك. لذلك تُعَدّ كتب الرحلات مصدرًا مهمًا في دراسة أحوال البلدان والتعرف على مقدراتها وطبيعة عيشها، فضلاً عن المظاهر الحضارية فيها. ذلك أن هذه الكتب تكون أصدق وأقرب للواقع كونها تلامس الحياة العامة من خلال التجوال والترحال، والوصف الدقيق لمعالم الحياة هناك. ورحلة البلوي هي واحدة من تلك الرحلات المهمة التي سلطت الضوء على الحياة العامة في مصر وبلاد الشام في ظل دولة المماليك البحرية، وعكست الواقع الطبيعي للمظاهر الحضارية دون زيادة أو تكلف. وفي هذه الدراسة نحاول أن نعرف مدى مصداقية وصف البلوي للمدن المصرية والشامية، بمعنى هل كان وصفه نابعًا من مشاهداته، أم نقلاً من رحالة آخرين؟ كذلك التعرف على مدى دقة الوصف الذي وصف به المدن مقارنةً بغيره من الرحالة؟ ومن بين الأمور التي نبحث عنها في هذه الرحلة هي مدى التطور العلمي والثقافي الذي عاشته مصر وبلاد الشام في ظل المماليك، وما هو دور السلاطين في ذلك؟ أخيرًا وليس آخرًا معرفة أهمية كل من مصر وبلاد الشام عند البلوي، بمعنى هل البلدين كانا بالأهمية نفسها عنده أم لا؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى تفضيل البلد على الأخر؟ كل هذه الأسئلة الافتراضية نحاول جاهدين للإجابة عليها من خلال التمعن والتدقيق في وصف البلوي، ومقارنته بما وصفه رحالة معاصرين له أو متأخرين كي نصل إلى رؤية واضحة حيال أهمية الرحلة وتميزها عن غيرها.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ٠٢ مايو ٢٠١٧
تاريخ قبول النشر: ٠١ يوليو ٢٠١٧

كلمات مفتاحية:
التاريخ الإسلامي، الرحلة والرحالة، عصر المماليك، الإسكندرية، القدس، القاهرة

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0045100

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
عمار مرضي علاوي. "مصر وفلسطين في رحلة البلوي (ت. قبل ٧٨٠هـ) دراسة مقارنة".- دورية كان التاريخية.- السنة العاشرة- العدد السابع والثلاثون؛ سبتمبر ٢٠١٧. ص١٥٥ – ١٧٣.

مُقَدِّمَةٌ

قبل التطرق إلى السيرة الشخصية والعلمية للرحالة البلوي، لا بد من إلقاء نظرة على عصره ومدى أثره على نتاجه العلمي المتمثل بالرحلة والتأليف.

عاش البلوي في دولة ملوك بني نصر أو ما يعرف ببني الاحمر في الأندلس (٦٣٥ . ٨٩٧ هـ)، وهم ينتسبون إلى مؤسس دولتهم محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن حسين بن نصر بن قيس الأنصاري، الذي كان يعرف بالشيخ وابن الأحمر، فسميت الدولة باسمه[١]. وأشاد ابن الخطيب بنسبهم وأثرهم في توحيد الأندلس قائلاً[٢] "وجمع الله الأندلس على قوم من خيار الأمة ممن الجهاد شأنهم، والفلح معاشهم، والنجدة شهرتهم، والى سعد بن عبادة سيد أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبهم". وفيما يخص قيام دولتهم فإن الضعف العام لدولة الموحدين وكثافة هجمات النصارى على الأندلس، حفز محمد بن يوسف للخروج لمقاتلتهم وأظهر شجاعة، الأمر الذي أدى إلى مبايعته بالإمارة سنة ٦٢٩هـ[٣]. وعلى الرغم من أنه قطع البيعة لابن هود، إلا أنه خلعها ودخل مدينة غرناطة سنة ٦٣٥هـ، فبايعه أهلها واتخذ المدينة عاصمة لدولته.[٤]

عاصر البلوي ملوك بني نصر لاسيما عصري السلاطين أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل (٧٣٣ ـ ٧٥٥ هـ) الذي اتسم عصره بطابع محاربة النصارى، من خلال الاستنجاد بالسلطان أبو الحسن المريني، وكانت المعارك بينهما سجالاً ولعل معركة طريف سنة ٧٤١هـ كانت شاهدًا على ذلك والتي انتهت بهزيمة بني نصر.[٥] اتسم عصر السلطان أبو الحجاج بالسلام والأمن، لكنه ما لبث أن قتل أثناء صلاته بالمسجد الجامع.[٦] والسلطان الثاني الذي عاصره هو الغني بالله محمد بن يوسف الأول (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) الذي تولى الحكم بعد وفاة والده على الرغم من صغر سنه، وبقي في الحكم إلى أن خلعه أخوه أبي الوليد إسماعيل بن أبي الحجاج يوسف(٧٦٠ ـ ٧٦١هـ) الذي لم يدم حكمه سوى عامًا واحدًا بسبب الانقلابات بين الملوك والأمراء[٧]. وتشير المصادر إلى أن إسماعيل لم يحسن إدارة الدولة وانغمس في اللهو، الأمر الذي شجع ابن عم والده محمد بن إسماعيل للاستحواذ على الحكم ومن ثَمَّ قتله.[٨]

ويبدو أن البلوي تأثر كثيرًا بهما لدرجة أنه ذكرهما في مقدمة رحلته قائلاً:[٩] "ويخص بالتأييد والحسنى والمزيد، رافع رايات فخرهم والقائم بأعباء نصرهم والمجدد لآثارهم ومآثرهم، والمحيي لمكارمهم ومفاخرهم، فخر الملوك الجلة وناصر الملة، والبدر الذي زان أفق الملك من ابنائه السعداء والأمراء بالنجوم والأهلة، إمام الهدى وغمام الندى، وحسام الله المسلول على العدى مولانا السلطان أمير المسلمين وناصر الدين أبا الحجاج يوسف بن مولانا السلطان هازم أحزاب المشركين، وقد جاشت، ومسلط سيوفه العضاب على عاتي تلك الرقاب فما استنت ولا حاشت، أمير المسلمين المقدس السعيد الشهيد أبي الوليد بن نصر... ".

وفيما يتعلق بالحركة الفكرية نجد أن بلاد الأندلس تحت حكم سلطنة غرناطة قد امتازت بقوة العلوم ونضجها، على الرغم من أن الكثير من المفكرين والأدباء والكتاب المتأخرين، قد هاجروا إلى البلاد الأخرى، لما رأوا من أن بلدهم آيل للسقوط نتيجة الأحداث الجسام؛ فسلطان الموحدين أخذ ينهار بسرعة، وثورة ابن هود نشبت في الولايات الشرقية، وأخذت القواعد الأندلسية تسقط تدريجيًا بيد النصارى، وإزاء هذه الفوضى السياسية التي اجتاحت الأندلس ضعفت الحركة العلمية واضطر الكثير من الكتاب والعلماء إلى ترك البلد.[١٠] وخير دليل على ازدهار الحركة الفكرية ما ذكره المقري بقوله[١١] "إنهم أحرص الناس على التميز في هذا الجانب، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ويحال عليه، وينبه قدره، وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة". لذلك نجد أن سلاطين بني الأحمر كانوا يشجعون على العلم ويوفرون البيئة المناسبة للحركة العلمية بصورة عامة، فيذكر أن السلطان أبو الحجاج يوسف كان أكثر السلاطين فضلاً وعقلاً واعتدالاً، وكان يقرب أهل العلم لجنبه بدلالة استيزاره للسان الدين بن الخطيب.[١٢]

كذلك فعل السلطان محمد الذي قرب أهل العلم مثلما فعل والده، فقد قرب اليه المؤرخ الشهير ابن خلدون وأحسن إكرامه.[١٣]

ومن ضمن تقدير أهل الاندلس للعلماء أن لفظة فقيه عندهم لها مكانتها ولها مدلولاً رفيعًا، حتى أن الأمير العظيم منهم إذا أرادوا تنبيهه يسمونه بالفقيه.[١٤] ولم تعرف الأندلس التدريس في المدارس على غرار ما موجود في المشرق الإسلامي، اذ كان التدريس مقتصرًا على المساجد، ولعل أول مدرسة عرفت في الأندلس هي المدرسة النصرية التي أنشأها أبو الحجاج يوسف الأول سنة ٧٥٠ هـ.[١٥] وأدت المساجد دورًا كبيرًا في رفد الحركة العلمية، يذكر أن السلطان محمد الفقيه قام ببناء المسجد الجامع الذي عدّ من أعظم مآثره الخالدة.[١٦]

سيرة البلوي الشخصية والعلمية

يجد الباحث في أغلب السير الشخصية للكتاب غير المشهورين على مستوى العالم الإسلامي صعوبة في بناء تصور واضح لها، وذلك بسبب سكوت معظم المصادر التاريخية المعنية عنها، لكونه لم تكن له الشهرة قبل سطوع نجمه سواء بالتأليف أو القيادة، لذلك تأتي السير ناقصة ويشوبها الكثير من علامات الاستفهام. وسيرة البلوي هي واحدة من تلك السير التي جاءت ناقصة المعلومات مما يحرمنا من معايشة حياته قبل بروزه كرحالة.

على العموم كاتب الرحلة هو أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي[١٧]، ينتسب لمدينة قنتورية[١٨] التي نشأ بها وتعلم فيها.[١٩] كذلك غفلت المصادر تاريخ ولادته لكن محقق الرحلة قدرها بسنة ٧١٣هـ.[٢٠] وفيما يخص سيرته العلمية نجد أن أسرته كانت علمية بحتة إذا ما عرفنا أن والده كان قاضيًا لمدينة قنتورية، فنهل بدايةً من والده العلم الكثير، ثم انتقل إلى غرناطة وأتم دراسته الشرعية فيها، كما أخذ في مدينة فاس العلم عن عدة علماء، وانتقل إلى بلاد المشرق الإسلامي لينهل من علومها، ثم عاد بعد رحلته الشهيرة إلى الأندلس ليصبح أحد رجال الفقه والعلم، لدرجة أنه أصبح قاضيًا لقنتورية، وحط رحاله في برشانة[٢١] التي دون فيها رحلته الخالدة.[٢٢]

ونتيجة لعلمه وفضله أن قام السلطان الحفصي أبو يحيى بن أبي زكريا (٧١٨ ـ ٧٤٧هـ) باستكتابه سنة ٧٤٠هـ.[٢٣] فضلاً عن توليه للقضاء في مدينته قنتورية وفي برشانة، وتدريسه في مدرسة الإسكندرية.[٢٤] أثنى عليه العلماء المعاصرين له، فقد وصفه ابن الخطيب[٢٥] وغيره بقوله "هذا رجل من أهل الفضل والسذاجة، كثير التواضع حسن الأخلاق، جميل المعاشرة، ومحب في الأدب...". وقال عنه ابن القاضي[٢٦] "كان ذو خط رائق".

وفيما يتعلق بوفاته فلم يقف عليها أحد من المؤرخين المتأخرين، ومن الذين ذكروا وفاته البغدادي[٢٧] الذي قال أن وفاته كانت بعد سنة ٧٣٧هـ؛ ثم الزركلي[٢٨] الذي ذكر أنها بعد سنة (٧٦٥ هـ/ ١٣٦٣م). ويرجح محقق الرحلة أن وفاته كانت قبل سنة (٧٨٠هـ)، بدليل أن ابن الخطيب ذكره في كتابه الريحانة الذي ألفه سنة (٧٨٠هـ) وترحم عليه.[٢٩]

التعريف بالرحلة

الكتاب عبارة عن رحلة قام بها البلوي إلى بلاد المشرق الإسلامي، سماها (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق)، وسبب هذه التسمية هي لقصد الحج وطلب العلم، إذ كانت الرحلة سنة (٧٣٦ هـ/ ١٣٣٥م) في يوم السبت الثامن عشر من شهر صفر، ثم عاد إلى موطنه يوم الاثنين في بداية شهر ذي الحجة سنة (٧٤٠ هـ/ ١٣٣٩م)، وبذلك تكون رحلته أربع سنوات وتسعة أشهر واثنا عشر يومًا. وبعد عودته إلى موطنه قام بمراجعة الرحلة فأكملها في برشانه في اليوم الأخير من شهر ربيع الأول سنة ٧٦٧هـ، وأضاف اليها تقريظ العلماء والأدباء الذين اطلعوا عليها [٣٠]، ثم نسخها حفيده خالد بن أحمد بن خالد من مبيضة جده وأتمها ببرشانه في الحادي والعشرين من شهر صفر سنة ٨١٩ هـ.[٣١]

قام البلوي[٣٢] بتدوين أخبار رحلته قائلاً "تقييد أطلعه هون من الله وتأييد، قصدت به ضبط موارد الرحلة الحجازية، وذكر معاهد الوجهة المشرقية، جعلها الله تعالى في ذاته وابتغاء مرضاته، بمنه وكرمه، وألممت مع ذلك بذكر الشيوخ من العلماء الفضلاء، الذين يطئون ذيول البلاغة، ويجرون فضول البراعة ولهم كلام يتألف منه شعاع الشرق، ويترقرق عليه صفاء العقل.. وألمعت بذكر نبذ من فوائدهم، واختيار طرف من أناشيدهم.. ولما بوبت ما ألفت ورصعت ما جمعت وشعشعت ما وضعت، فجاء كما تراه حسن الزي عذب الري، عالي القدر، غالي الدرر، مسبوك الحلية والتبر، فيه للسمع مراده، وللفكر معاد، وللألباب مسرح ومرتاد، سميته بتاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ودعوت الله تعالى في مواطن الإجابة أن يوفقني فيه للإجادة والإصابة، وأن ينفع به كل من يلتمس النفع به في المطالعة أو بالكتابة".

أهمية الرحلة

إنّ المتصفح لكتاب تاج المفرق، لا يجده كتابًا مبوبًا أو مقسمًا إلى أبواب، بل وحتى عناوين فرعية، إنّما هو سرد وتشخيص لأهم المعالم التاريخية والجغرافية التي زارها ووقف عليها. تُعَدّ هذه الرحلة من الرحلات الأدبية القائمة على النثر المليء بالسجع، مستوفيًا بها شروط الرحلة الأندلسية والمغربية من الاهتمام بالقضايا الفكرية المثارة في عصره، والترجمة لأعلام العلماء المأخوذ عنهم من الكتب العلمية المشهورة التي كانت في غاية الطلب، والدواوين الشعرية المتناقلة بين الناس، فعدت رحلته من تلك النماذج للرحلات الأندلسية.[٣٣]

وفيما يتعلق بمنهجه في كتابة الرحلة، فهو يقوم بذكر العلماء والرجال ترجمة كاملة من حيث الاسم واللقب وتاريخ الولادة وتأليفهم، وحتى يذكر السند في الأخذ عنهم[٣٤]. كذلك قام بوصف جغرافي للمدن والقرى التي مر عليها بدون إسهاب أو إخلال.[٣٥] ومن المؤاخذات التي سجلت عليه، أنه نقل من وصف الرحالة ابن جبير في ما يتعلق بوصف مدن مصر، ورغم دفاع محقق الرحلة عن البلوي إلا أن محقق رحلة ابن جبير أشار إلى ذلك.[٣٦] ولم يغفل بذكر الأحوال السياسية والاجتماعية بل وحتى النقوش التي شاهدها على المسجدين الحرام والنبوي،[٣٧] فضلاً عن ذكره للمدارس الدينية أمثال المدرسة السراجية في الإسكندرية.[٣٨]

ولم يغفل ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي استعان بها في وصف المدن أو دعم الحركة العلمية المنتشرة في المشرق الإسلامي.[٣٩] وبالجملة فإن رحلة البلوي هي ثروة علمية جمع فيها تجربته العلمية الوصفية لبلاد المشرق الإسلامي، ويكفي مدحًا لها أن وصفها المقري[٤٠] بقوله: "وهذه الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد والفرائد، وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوزه الرائد".

خط سير الرحلة

من خلال تتبع رحلة البلوي نجد أنه اتبع طريقًا طويلة ولمسافات متباعدة تدل على أنه عارف بالطرق ومسالكها، وحب السفر ومشاقه.

خرج من بلدته قنتورية متجها نحو تلمسان[٤١]، والجزائر، وبجاية [٤٢]، وقسنطينة[٤٣]، وبونة (العناب) [٤٤]، إلى أن وصل إلى مدينة تونس. ومن تونس إلى قوسرة[٤٥]، ومالطة[٤٦]، وأقريطش[٤٧]، وقبرص[٤٨]، ثم غادر إلى الإسكندرية والقاهرة عن طريق البحر، ومن مصر اتجه نحو بلاد الشام (مدن فلسطين) عن طريق البر في يوم الاثنين الثامن والعشرون من رجب سنة ٧٣٧ هـ، فحط رحاله في غزة[٤٩] في السابع من شهر شعبان، وفي التاسع من شعبان وصل الخليل[٥٠] فبقي فيها أربعة أيام، ثم إلى بيت المقدس في الثاني عشر من شعبان وبقي بها قرابة الشهرين، ثم رحل منها مع الركب الشامي نحو الحجاز للحج في الثاني عشر من شوال، فوصل الكرك[٥١] في الثالث والعشرين من شوال، ومنها سلك الطريق البري المؤدي إلى مكة المكرمة، وأدى فيها فريضة الحج لسنة ٧٣٧ هـ.

ومن مكة سار مع الركب المصري إلى المدينة المنورة فوصلها يوم الخميس في الرابع والعشرين من ذي الحجة، ثم رحل عنها في نفس اليوم إلى عقبة آيلة [٥٢] ومنها إلى فلسطين بقصد الزيارة (المرة الثانية له) وذكر ذلك بقوله[٥٣] "إلى أن وردنا ماء العقبة الكبرى على ساحل البحر وهي التي تسمى عقبة آيلة، يجتمع عندها من الناس من الشام ومصر وغيرها للقاء الركبان، والسؤال عن الاحباب والاخوان... ". ومنها وصل إلى مدينة الخليل في الثالث والعشرين من محرم سنة ٧٣٨ هـ، ثم غادرها إلى القدس الذي اجتمع بأخيه محمد هناك، وبقي فيها حوالي سبعة أيام، ثم غادرها إلى مدينة الرملة،[٥٤] ومنها إلى عسقلان[٥٥] وغزة، حتى وصل إلى قرية قاطية[٥٦] في العاشر من شهر صفر، إلى أن وصل إلى القاهرة في الرابع عشر من صفر، ومنها اتجه إلى الإسكندرية، ثم طرابلس حتى وصل إلى تونس، وأقام بها قرابة سنتين ثم عاد بعدها إلى مسقط رأسه قنتورية.[٥٧]

المبحث الأول: أهمية مصر عند البلوي

جاءت رحلة البلوي إلى مصر وبلاد الشام في القرن الثامن الهجري، بحدود سنة ٧٣٧ هـ، وكان يحكم هذان البلدان دولة المماليك البحرية. وفيما يخص مصر فإن البلوي اقتصر في زيارته على الإسكندرية والقاهرة، وسوف نقوم بدراسة الوصف الجغرافي والعمراني والعلمي لمصر.

١/١- وصف المدينة وبناءها:

قام البلوي بوصف مدينتي الإسكندرية والقاهرة وصفًا دقيقًا في الأمور التي شاهدها أو التي اقتبسها من مصادر أخرى، وهذا الوصف له أهميته ذلك أنه يعطي انعكاسًا لأهمية المدن ومدى تطورها ورقيها. بالنسبة لمدينة الإسكندرية التي وصفها البلوي فقد زارها ثلاث مرات ما بين سنتي ٧٣٧ و٧٣٨ هـ. ففي المرة الأولى كانت في ليلة الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة لسنة ٧٣٧ هـ، وفور وصوله إلى الإسكندرية استقبله أهلها بالحفاوة وبدأ ينشد قائلاً:[٥٨]

فنسينا ما لقينا وكأنا ما شقينا
وخلصت من حجر الأسى لمسرة
فتنت بها الأبصار والأسماع
وظفرت من زمني بحظ لم يزل
بيني وبين الدهر فيه نزاع

ثم وصف المدينة وصفًا جغرافيًا دقيقًا بقوله:[٥٩] "فلم أر مدينة أحسن منها وضعًا ولا أبدع ربعًا، ولا أسع مسالك ولا أعلى مباني ولا أسمى مراقي، ولا أجمل مراسم، ولا أوضح معالم، ولا أملح أزقة، ولا أعجب رونقًا ورقة، ولا أحسن تفصيلاً وجملة.. فكأن محاسن الدنيا فيها مفروشة، وصورة الجنة فيها منقوشة، كوكبها يقظان، وجوها عريان، وحصاها جوهر ونسيمها عطر، وترابها مسك أذفر، ويومها غداة، وليلها سحر، وكفاها أن ليلها كالنهار في تصرف العباد، وإعادة مساءها كصباحها، وهو غير المعتاد".

لم يقتصر هذا الوصف على البلوي، بل أن العبدري[٦٠] وصف المدينة وصفًا شاملاً عندما قال عنها: "مدينة فسيحة الميدان، صحيحة الأركان، مليحة البنيان، تسفر عن محيا جميل المنظر، وترنو بطرف ساج أحور، وتبسم عن ثغر كالأقحوان إذا نور، كأنه لم يغب عنها، شخص الإسكندر، بما ساس فيها من عجائب مبانيها ودبّر، ناهيك بمدينة كلها عجب، قد ستر حسنها حسن غيرها وحجب، ووفّي فيها الإتقان حقه كما وجب، وقد أغنى عن تسطير وصفها ما سطره الاعلام، وضرب به الأمثال على المهارق بالأقلام".

ويذكر البلوي أن مدينة الإسكندرية هي التي سماها الله في كتابه ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[٦١] إلا أن ذلك القول الذي اختاره البلوي معتمدًا على بعض الأقوال في التفاسير ضعيفة ولا يمكن التسليم بها كما ذكر ابن كثير[٦٢] لأن المقصود بذلك هم عاد الأولى وحينما ذكر ذات العماد فالمقصود هنا عطف بيان زيادة تعريف بهم، وكذلك معنى التي لم يخلق مثلها في البلاد، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد.

وينقل البلوي عن ابن سعيد[٦٣] قوله أن بناء المدينة استغرق ثلاثمائة سنة. ويتكرر نقل البلوي عن الجغرافيين والرحالة دون الإشارة إليهم، ففي معرض حديثه عن عجائب الإسكندرية "أن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار إلا معصبين الأعين بخرق سود خوفًا على أبصارهم من شدة بياضها".[٦٤] وتحدث البلوي عن بناء المدينة بأنه من العجائب، إذ أن بنائها تحت الأرض كبنائها فوقها، بل وأعتق وأمتن، ويعلل ذلك بأن الماء من نهر النيل يخترق جميع ديارها ويتخلل جميع أزقتها تحت الأرض، لذلك تتصل الآبار بعضها ببعض.[٦٥] وفي معرض حديثه عن فتح الإسكندرية ذكر قولاً لوالي مصر عمرو بن العاص الذي فتح مصر، نقلاً عن الكلاعي[٦٦] بقوله: "أما بعد فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أني أصبت فيها أربعة آلاف منية بأربعة آلاف حمام، وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية، وأربعمائة حلة للملوك".[٦٧]

٢/١-وصف الحياة الاقتصادية:

اكتفى البلوي بذكر المزروعات والمصانع الموجودة في الإسكندرية والقاهرة، فضلاً عن وصف المدينتين وصفًا جغرافيًا.

فقد وصف الحالة المعيشية في الإسكندرية وحركة السوق اليومية بقوله على لسان الكلاعي[٦٨] "أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية وجد فيها أثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر". ويؤيد ذلك العمري عندما تحدث عن الإسكندرية وذكر خيراتها[٦٩] "وبها الأسواق الممتدة، ومعامل البز والقماش والطرز الفائق المثل، واليها تهوي ركائب التجار برًا وبحرًا من كل فج عميق ومكان سحيق"؛ ووصف ثمارها[٧٠] "وبها من الفواكه المنتخبة الثمار، وهي تفوق مصر بحسن ثمراتها ورخص الفواكه بها".

ويصف البلوي ما تمتعت به المدن التي مر بها من الإسكندرية إلى القاهرة سنة ٧٣٠هـ من المزروعات دون أن يفصل أنواع المحاصيل الزراعية "فخرجنا من الإسكندرية في الثلاثاء ثامن يوم من رجب المذكور، وسرنا في بسيط من الأرض عريض مراده لا يخترقه النسيم بمسراة، ويكاد البصر يقف عند مداه بين مدائن عليها نضرة النعيم وبساتين اعتمارها من التعميم، وسرحات مونقة ودوحات مورقة، ونخلات طلع، وخامات زرع تموج بدائعها موج البحر، وتلوح طلائعها بين كتائب الزهر، من لم ير أرض مصر في أوان ربيعها وأبان زروعها، لم ير منظرًا نضيرًا".[٧١]

أما مدينة القاهرة التي وصلها سنة ٧٣٧ هـ، فور وصوله قام بالتغني بمدينة القاهرة قائلاً:[٧٢] "وسرنا في أقطار تلك الحضرة التي أرضها سندسية اللباس، وروضها متنوع الجناس، وروائحها عنبرية الأنفاس، ومنظرها يجلب أنواع الإيناس، فهي بغية النفس وغاية الأنس، ومنية الطرف، ومسرح الظرف، وسلوة الفكر، ونبعة العلم والذكر، وشغل الخاطر والذهن، ومحل الهناء والأمن". ويستطرد البلوي في وصف القاهرة بأعلى ما يكون من الوصف، وكأنه لم يعجب بمدينة غيرها من ذلك البيت الشعري فيها:

ما عداها من جنة الخلد إلا أننا لا ننال فيها الخلودا

ولم يكتف بهذا الوصف بل تعداها إلى الوصف العام عن الحالة التي كانت عليها في العصر المملوكي، فقال عنها بالمجمل[٧٣] "فرأيت فيها من المباني الهائلة والأسواق الحفلة، والمساجد العتيقة والمدارس الأنيقة، والمرابع البارعة والمصانع الناصعة، والأزهار والأشجار الباهرة والآثار العامرة، والجنود الوافرة والأمم المتكاثرة ما تحار في ذلك الأوهام وتكل دون وصفه الألسن والأقلام، القاهرة وما أدراك ما القاهرة الظلال الوارفة والمياه الهامرة، والأرض الأريضة والروضات العاطرة، مقام قام السرور في منبر دوحها خطيبًا... ".

ولا شك أن القاهرة في العصر المملوكي قد بلغت ذروتها العلمية والاقتصادية، فهذا السيوطي[٧٤] يقول عنها: "وأعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة، وصارت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء". لذلك نجد مدح البلوي لمصر في العصر المملوكي واضحًا من خلال الثناء على سلطنة السلطان الناصر قلاوون في ولايته الثالثة (٧٠٩ ـ ٧٤١ هـ/ ١٣١٠ ـ ١٣٤١م) وربطها بخلافة الخليفة العباسي في مصر المستكفي بالله (٧٠١ ـ ٧٤٠ هـ/ ١٣٠٠ ـ ١٣٣٩م) معززًا ذلك بقوله:[٧٥] "فجاءت الدنيا في أيامه غضة، وزهرة الأيام بهجة، لما منح الله على يديه من الأمن والسكون والدعة وظلال المسرة والهدنة، فانسحب ذيل العز وانضرب رواق الأمن، وانسدل ستر العافية على الملأ والكافة والأقطار النازحة والغريبة، وخصوصًا على هذه المدينة".

وفيما يخص وصف ابن بطوطة للسلطان الناصر قلاوون، نجد أنه يفصل أكثر ويهتم بذكر مآثره، فذكر عنه أنه سمي بالألفي لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار، وكانت له سيرة حسنة من ذلك شرف انتماؤه للحرمين الشريفين، وما يفعله كل سنة من أعمال البر التي تعين الحجاج من الجمال التي تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشي في الدربين المصري والشامي، فضلاً عن بناءه زاوية عظيمة خارج القاهرة.[٧٦] ويذكر البلوي ما تمتعت به القاهرة من زراعة الأزهار والأشجار بعد دخوله لها قائلاً:[٧٧] "وفتحت لي راحة القلب أبواب النزهة، فأطلعت عنان طرف الطرف نحو الجهة فرأيت... الأزهار والأشجار الباهرة". فضلاً عن وصفه للمصانع الموجودة في القاهرة "فرأيت فيها المصانع الناصعة".[٧٨]

٣/١- وصف الحياة العلمية:

اشتمل وصف البلوي على ذكر المساجد والجوامع والمدارس، فضلاً عن الترب والمشاهد.

أشار البلوي إلى قضية مساجد الإسكندرية وأثرها في الإسلام، فذكر أنها احتوت على أثني عشر ألف مسجد[٧٩]. وهذا الرقم وإن كان مبالغ فيه، إلا أنه يعطي انطباعًا على مدى أهمية الإسكندرية من الناحية الدينية وتأثرها على باقي مدن مصر. أما وصفه للقاهرة التي زارها يوم الأحد الثالث عشر من رجب سنة ٧٣٧ هـ، فكانت محطته الأولى في موضع بالقرب من جامع ابن طولون.[٨٠]

نجد أن البلوي اكتفى بذكر الجامع وذكر مساحته التي توازي مساحة المسجد الحرام طولاً وعرضًا، دون الحديث عن عمارته في العصر المملوكي، فقد شهد الجامع عدّة إصلاحات من ذلك ما قام به السلطان حسام الدين لاجين (٦٩٦ ـ ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٧ ـ ١٢٩٩م) بشراء الأوقاف على الجامع وصرف ما تحتاجه عمارته، وأمر بأن تعطى قيمة كل شيء للجامع بثمنها وأن لا يستقطع منها شيء، واشترى ساحة بجوار الجامع، وقام بترتيبه وعمارته متمثلاً بسقفه وجدرانه ونصب منبر جديد، ورتب فيه دروسًا في التفسير والفقه والحديث، وعيّن فيه إمامًا ومؤذنين، وعمل بجواره مكتبًا لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل.[٨١]

وخلال تجواله في مصر تردد إلى مسجد عمرو بن العاص الذي يسميه بالعتيق قائلاً:[٨٢] "كنت أتردد بها إلى المسجد العتيق الحافل الذي بناه عمرو بن العاص رضي الله عنه واليه ينسب اليوم، فأرى جامعًا منيرًا ومسجدًا كبيرًا له صحن فسيح وسوار حافلة ومقاصر من العود عجيبة، وتواريخ مكتوبة بالخط الحافل المذهب كثيرة، فمنها ما كان مكتوبًا على المحراب ونصه بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)[٨٣] النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا وسيدنا الإمام المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن أمير المؤمنين، أمر بتجديده الملك الزاهد الناصر المجاهد صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف وفق الله تعالى لطاعته في سنة ثمان وخمسمائة".[٨٤]

وفات البلوي أن يذكر تجديد المسجد وإصلاحه في العصر المملوكي على الرغم من معاصرته لهم، ففي عصر السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ) أمر بتجديد الجامع من إعادة الجدران وزيادة الأعمدة وبيض الجامع كله مع كتابة اسم السلطان عليه وكان ذلك سنة ٦٦٦ هـ.[٨٥] وفي عصر السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ) حدث للجامع بعض الأضرار سنة ٦٨٧ هـ، فأمر المنصور بتجديده وإصلاحه، لكن لم تكن بالمستوى المطلوب، وفي عصر السلطان الناصر قلاوون تم إعمار المسجد وإصلاحه نتيجة تعرضه لزلزلة، فكان إعماره جيدًا وبيض الجامع بأسره وزاد في سقف الزيادة الغربية.[٨٦]

وعند المقارنة ما ذكره الرحالة نجد أن البلوي انفرد في وصفه من الداخل، فابن بطوطة اكتفى بوصفه قائلاً:[٨٧] "ومسجد عمرو بن العاص مسجد شريف القدر شهير الذكر، تقام فيه الجمعة والطريق يعترضه من شرق إلى غرب". ولم يفت البلوي إلى ذكر مشاهد الصالحين وقبور الصحابة والتابعين (رضوان الله عليهم أجمعين)، فمنها مشهد السيدة نفيسة[٨٨] بنت الحسين ومسجدها قائلاً:[٨٩] "شاهدت المشهد العظيم مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها، فرأيت مسجدًا عظيم الاحتفال قائمًا في الحسن... ". كذلك مشهد السيدة زينب بنت الصحابي الجليل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وتربة زيد بن الحسن (رضي الله عنه).[٩٠]

وفي وصفه لمدينة القرافة[٩١] ذكر عددًا من مشاهد الأنبياء (عليهم السلام)، وأهل البيت (عليهم السلام)، والصحابة (رضوان

الله عليهم) والتابعين والزهاد والأولياء، فمن ذلك قبر أبو النبي صالح (عليه السلام)، وقبر يعقوب أخي يوسف (عليه السلام)، وقبر معاذ بن جبل (رضي الله عنه)، ومشهد الإمام الشافعي (رحمه الله).[٩٢]

وأشاد البلوي باهتمام المماليك بالمدارس عند زيارته للقاهرة سنة ٧٣٧هـ "وفتحت لي راحة القلب أبواب النزهة، فأطلقت عنان طرف الطرف نحو الجهة فرأيت فيها من المباني الهائلة... والمدارس الانيقة".[٩٣] وتطرق إلى المدرسة الصلاحية الشافعية[٩٤] ولو أنه لم يذكرها باسمها عند الحديث عن مشهد الإمام الشافعي، فاكتفى بالإشارة إليها قائلاً:[٩٥] "وبإزاء هذا المسجد العظيم مدرسة مختلفة الصنعة سامية المنية، أعظم المدارس اتساعًا وأعلاها سموًا وارتفاعًا، فيها من المنازل الرفيعة والرواتب الموقفة، والمياه الجارية ما يقر العين ويملأ اليد بالمين ويريك ذوائب الذهب في سبائك اللجين". وهذا الوصف له دلائله على أن العصر المملوكي شهد ثورة علمية في بناء المدارس وتنظيمها تنظيمًا دقيقًا يضاهي الجامعات الحديثة، فالأوقاف على المدارس خير شاهد على نتاج ذلك العصر. كذلك ذكر المدرسة الناصرية[٩٦] عندما درس بها على يد أحد علماءها قائلاً:[٩٧] "لقيته بالمدرسة الناصرية من القاهرة المعزية فسمعت فوائد من لفظه وقيدت شوارد من حفظه".

٤/١- وصف المعالم الجغرافية والمدنية:

تطرق البلوي إلى عدة معالم منها جغرافية كنهر النيل، ومنها مدنية كالبيمارستان والأهرامات، ومنارة الإسكندرية.

فبالنسبة لنهر النيل لم ينس البلوي أن يفتخر بأنه ركب في سفينة من سفنه التي فراشها ريحان منضد، وسقوفها كتان ممدد، حتى أن السفن التي تبحر فيه بلغت أكثر من ألف مركب عدا الزوارق الصغار التي كانت معدة للصيد والركوب، بمعنى أن السفن التجارية هي المقصودة بالعدد، وما عداها فهي للزينة والمتعة. وفضلاً عن السفن كانت الجمال الداخلة إلى القاهرة في المياه كل يوم بلغت مائتي ألف جمل عدا البغال والحمير والسقائين، ولم يكتف بهذه المعلومة بل تعداه إلى ذكر عدد دكاكين السقائين المعدة للسقي في القاهرة فبلغت ستين ألف دكان عدا السقائين الذين بالأكواز والأكواب في الطريق والأسواق وغيرها.[٩٨]

لكن نجد عند غيره من الرحالة تفصيل أكثر عن نهر النيل من حيث طبيعته وامتداده، مثال ذلك ما ذكره العبدري[٩٩] بقوله: "نهر عظيم متسع جدًا، آخذ من الجنوب إلى الشمال، ويفترق بعد مسافة من فسطاط مصر على ثلاثة أنهر، ولا يدخل واحد منها إلّا في القوارب شتاء وصيفًا... وصورة السقي به أن كل أهل بلد لهم خلج تخرج منه، فإذا جاء مد أترعها ففاضت على المزارع وسقتها كما كما تسقي سائر الأنهار".

ولم يغب عن البلوي أن يذكر البيمارستان المنصوري[١٠٠]، الذي يعد معلمًا حضاريًا في دولة المماليك، ولو أنه لم يذكره بالاسم بل اكتفى بذكر اسم البيمارستان، ولعل ذلك يعود إلى شهرته، فجاء وصفه دقيقًا "ولو لم يكن للقاهرة ما تذكر به إلا المارستان وحده، وهو قصر عظيم من القصور الرائقة حسنًا وجمالاً واتساعًا ما لم يعهد مثله بقطر من الأقطار أحسن بناء ولا أبدع انشاء ولا أكمل انتهاء في الحسن والجمال وانتماء من نعمت أدواحه وخبت على خضر الأغصان وزرق الغدران أرواحه، فلا غرو أن أمن ورقي، ثم لما كسا وأطعم سقي، آية نعمى وفت بالمعياد، وحسنا مثلها يعد للمعاد قد رويت جوانحه الصادية، وجمعت في شرعته السارية والغادية، فها هو فخره بادي الغرر والاوضاح، منبجس بالماء القراح".[١٠١]

وتعدى البلوي في وصفه إلى تحديد أعداد المرضى الداخلين فيه والى الخدمات المقدمة لهم "يكمل في كل يوم من المرضى الداخلين إليه والناقهين الخارجين منه أربعة الاف نفس، وتارات يزيدون وينقصون، ولا يخرج منه كل من يبرأ فيه من مرض حتى يعطي إحسانًا إليه، وإنعامًا إليه كسوة للباسه ودراهم لنفقاته، وأما ما يعالج به المرضى من قناطير الأشربة المقنطرة والأكحال الرفيعة الطيبة التي تسحق فيها دنانير الذهب والأبريز وفصوص الياقوت النفيس وأنواع اللؤلؤ الثمين فشيء يهول السماع ويعم ذلك الجمع إلى ما يضاف إلى ذلك كله من لحوم الطيور والأغنام على اختلافها وتباين أصنافها مع ما يحتاج اليه كل واحد ممن يوافيه ويحل فيه لفرشه وعرشه من غطاء ووطاء ومشموم ومذرور... ولو استقصيت الكلام في هذا المارستان وحده لكان مجلدًا مستقلاً بنفسه إذ في مبانيه الرائعة وصناعاته وتواريخه المذهبة ونقوشه العجيبة المنتخبة التي ترفل في ملابس الإعجاب، وتسحر العقول والألباب".[١٠٢] ووافقه العمري في الاشادة بالبيمارستان الذي قال عنه:[١٠٣] "المعدوم النظير لعظمة بنائه وكثرة أوقافه، وسعة انفاقه، وتنوع الأطباء وأهل الكحل والجراح به، وهو جليل المقدار جميل الآثار، جزيل الإيثار، وقفه السلطان الملك المنصور قلاوون رحمه الله ".

كذلك تطرق إلى الأهرامات[١٠٤] بوصفها وصفًا دقيقًا دون الخوض في تفاصيل بناءها "وبها الأهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر البديعة الإنشاء كأنها القباب المضروبة قامت في جو السماء، ولاسيما الاثنان منها يقصر الجو بهما سموًا واتساعًا ارتفاعهما مائة ذراع بالذراع الكبيرة من أحد أركانها إلى الركن الثاني ثلاثمائة خطوة وست وستون خطوة وأقيمت من الصخر العظام تركيبها بديع الإلصاق، وهي محدودة الأطراف لا سبيل إلى الصعود إليها إلّا على خطر ومشقة، فتلقى أطرافها المحدودة كأوسع ما يكون بين الرحاب لو رام أهل الارض بناءها لأعجزهم ذلك، وبها كان يجعل الطعام في أيام يوسف عليه السلام".[١٠٥] بينما نجد تفاصيل أبنية الأهرامات عند رحالة آخرين مثل العبدري الذي وصفها تفصيلاً بقوله:[١٠٦] "والأهرام مبان من الحجارة صارت لأحكامها كالحجر الواحد في غاية العلو، متسعة الأسفل مستديرة الشكل فكلما طلعت انخرطت حتى صار أعلاها حاداً على شكل المخروط، وليس لها باب ولا مدخل ولا يعلم كيف بنيت... ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعًا.. ووجد طول كل واحد من الهرمين الكبيرين أربعمئة ذراع بالمالكي وهو ذراع اليد، ويقال ليس على

وجه الأرض أرفع بناء منهما ويذكر أن عمقهما في الأرض مثل ارتفاعه".

وذكر البلوي أبو الهول دون التصريح باسمه، فوصف شكله الخارجي ودل أنه علامة لخروج نهر النيل "وعلى النيل رجل مبني من صخرة فيه علامات لخروج النيل في زيادته ونقصانه وقد وكل به قوم يتعاهدونه فإذا خرج سقى جميع ضياعهم ومزارعهم، وهم يزرعون على ذلك السقي ولا يحتاج زرعهم إلى سقي آخر بقدرة السميع العليم".[١٠٧] بينما نجد تفصيلاً أوفى عند الرحالة التجيبي الذي وصفه قائلاً:[١٠٨] "وبمقربة من هذه الأهرام الثلاثة رأس صورة من حجر صلد هائل المنظر على صورة رأس الإنسان، غير أنه في الكبر قد قام كالصومعة العظيمة، ووجه هذا الرأس مقابل إلى الأهرام، وظهره إلى القبلة مهبط النيل، ويدعوه أهل مصر بأبي الأهوال، ذرع عنق هذا الرأس عرضًا وأنا أنظر اليه، فألفي فيه نحو تسعة أقدام، ويزعمون أنه طلسم للرياح، وأنه لو ذهب لأتلف الريح مصر، والله أعلم بحقيقة ذلك وبما كان المراد به، وبما مر عليه من الدهور والعصور".

ووصف عمود السواري الذي عده من أعظمها وأعجبها، فذكر أن له قاعدة مربعة يكون عليها، وهو أعظم عمود على وجه الأرض، واقف على كنز من الكنوز، ويبلغ طوله تسع وأربعون ذراعًا، وأنه لا يتزحزح عن موضعه حتى لو تساقطت عليه الجبال.[١٠٩] وهذا الوصف له أهمية عند الجغرافيين والرحالة له سواء السابقين للبلوي أو اللاحقين له نجدهم يفصلون ذلك، فمثلاً وصف ياقوت الحموي[١١٠] ذلك قائلاً: "ولقد دخلت الإسكندرية وطوفتها فلم أر فيها ما يعجب منه إلّا عمودًا واحدًا يعرف الآن بعمود السواري تجاه باب من أبوابها يعرف بباب الشجرة فإنه عظيم جدًا هائل كأنه المنارة العظيمة وهو قطعة واحدة مدور منتصب على حجر عظيم كالبيت المربع قطعة واحدة".

بينما نجد العبدري[١١١] قد فصل في وصفه أكثر بقوله: "ومن أغرب ما رأيت بها عمود من رخام بظاهرها يعرف بعمود السواري، وهو حجر واحد مستدير عال جدًا على قدر الصومعة المرتفعة، وهو يبدو من بعيد بارزًا في غابة من النخيل مرتفعا عنها، وقد أقيم على حجارة منحوتة مربعة على قدر الدكاكين العظام، علوها أزيد من قامتين، ولا يعلم كيف أقيم عليها، ولا كيف ثبت هناك مع الرياح والعواصف، وهو مما لا يمكن تحريكه البتة فضلاً عن اقامته هناك". وأشار المقريزي[١١٢] إلى أن هذا العمود عبارة عن حجر أحمر منقط، كان من ضمن أعمدة تحمل رواق أرسطا طاليس الذي كان يدرس به الحكمة، وفصل في قياساته فذكر أن ارتفاعه سبعون ذرعا وقطره خمسة أذرع، وأن طوله اثنان وستون ذراعًا وسدس ذراع.

وحين وصف منار الإسكندرية نجده ينقل عن ابن جبير[١١٣] نقلاً بتصرف دون الإشارة اليه، فحين يقول عن المنار: "يزاحم السماء سموًا وارتفاعًا قد وضعه الله تعالى على يد من سخر لذلك آية للمتوسمين، وهداية للمسافرين يهتدون به في البحر إلى بر الإسكندرية، ويظهر على أزيد من سبعين ميلاً، عرض أحد جوانبه الأربع ينيف على خمسين باعًا، ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخمسين قامة". ومن الجغرافيين الذين ذكروا المنارة وصفتها هو البكري[١١٤] وعلق عليها قائلاً: "وأما المنار اليوم فهو ثلاثة أحزم، الأول مربع البناء قد عمل أحسن عمل من الحجارة المربعة التي أخفي ألصاقها حتى صارت كالحجر الواحد لم يغير الزمان من ذلك شيئًا، وارتفاع هذا المربع ثلاثمائة ذراع وعشرون ذراعا بالذراع المعروفة، ثم ترك في أعلاه غلظ حائط البناء وهو ثمانية أشبار ونحو عشرة أذرع سوى ذلك الغلظ، ورفع على ما بقي من البناء بناء مثمن الشكل طوله ثمانون ذراعًا، ثم بني على هذا البناء المثمن بعد أن ترك، وهو أقل من غلظ الأسفل وثماني أذرع سوى ذلك الغلظ عليه بناء مربع ارتفاعه خمسون ذراعًا أو نحو هذا".

ويبدع الرحالة العبدري في تفصيله لمنار الإسكندرية، إذ أنه دخل المنار وصعد إلى أعلاه ووصفه وصفًا دقيقًا يدل على صدق ذاكرته واهتمامه بهذه الآثار "وهو خارج المدينة على أزيد من ثلاثة أميال وعلى تل مرتفع بشمال البلد، وقد أحاط به البحر شرقًا وغربًا حتى تأكل حجره من الناحيتين، فدعم منها ببناء وثيق اتصل إلى أعلاه وزيد دعمًا بدكاكين متسعة وثيقة وضع أساسها في البحر ورفعت عنه نحو ثلاث قامات. وباب المنارة مرتفع عن الأرض نحو أربع قامات، وبني اليها بنيان حتى حاذاه، ولم يتصل به، ووضعت عليه ألواح يمشي عليها إلى الباب، فإن أزيلت لم يوصل اليه، وفوق الباب من داخل موضع متسع لحراسة الباب يقعد فيه الحارس وينام فيه، وفي داخل المنارة عدة بيوت رأيتها مغلقة، وسعة الممر فيه ستة أشبار وفي غلظ الحائط عشرة أشبار، ذرعته من أعلاه، وسعة المنار من ركن إلى ركن مئة وأربعون شبرًا، وفي أعلاه جامور كبير عليه آخر دونه، وفوق الأعلى قبة مليحة يطلع اليها في درج مشرعة إلى النواحي ولها محراب للصلاة".[١١٥]

ويبدو أن سبب بناء المنار هو لهداية السفن التجارية عن طريق إشعال النيران في قمته، وهذا ما أشار إليه المقريزي[١١٦] بقوله: "وكان في المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل، فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد، فإذا رأى أهل المنار ما يريبهم أشعلوا النار من جهة المدينة، فإذا رآها الحرس ضربوا الأبواق والأجراس، فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو". وفات البلوي أن يشير إلى تجديد المنارة في العصر المملوكي عندما زار الإسكندرية آنذاك، فقد قام السلطان الظاهر بيبرس ببناء ما تهدم من المنار أثناء زيارته للمدينة سنة (٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤م)، وقام بإنشاء مسجدًا في أعلى المنار.[١١٧]

في حين يذكر العمري أن المنارة أصبحت أثرًا بعد عين، اذ محيت آثارها ولم يبق منها إلّا أقل من العشرين ذراع، وأن أمر السلطان لها بالبناء لم يكن على وجه الاعتناء، وما موجود هي منارة استحدثت على كوم عالي داخل سور يعرف بكوم معلى، ليس له أساس ثابت ولا جدار معلى.[١١٨] ويذكر في أحيان قليلة إلى أنه اطلع في بعض الكتب دون التصريح بها، كما في قول عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قوله عن عجائب الدنيا

الأربعة ومن ضمنها منارة الإسكندرية، نجده ينقل بتصرف وتغيير للعبارات كما جاء ذلك واضحًا عند ابن الفقيه.[١١٩]

ويزيد البلوي على هذه المرآة في المنارة بأن مَنْ صنعها هم الحكماء يتطلع بها على القسطنطينية وبلاد الروم حتى احتيل في انزالها، إلى أن قام الروم بإفسادها خوفًا منها.[١٢٠] ومن الآثار الموجودة في الإسكندرية أن حيطان المدينة وسورها من رخام، وفيها قبة كانت لفرعون، وفيها قصر سليمان (عليه السلام) الذي انهدم وبقيت آثاره، ويوجد بها أسطوانة تستدير الدهر كله.[١٢١]

المبحث الثاني: أهمية فلسطين عند البلوي

اقتصرت زيارة البلوي إلى بلاد الشام لمدن فلسطين حصرًا، وكانت زيارته لها لمرتين، الأولى سنة ٧٣٧ هـ من السابع من شهر شعبان إلى الثاني عشر من شوال؛ والثانية سنة ٧٣٨هـ بعد أداء فريضة الحج من الثالث والعشرين من محرم إلى الخامس من شهر صفر. وهذا يعني أن المدة الزمنية بين الزيارتين تتراوح بين خمسة إلى ستة أشهر.

١/٢-صورة فلسطين عند البلوي:

زار البلوي في رحلته كلاً من غزة، والخليل، والقدس، والرملة، وعسقلان.

ابتدأ البلوي بوصف مدينة غزة وصفًا جغرافيًا عامًا، التي دخلها يوم الثلاثاء السابع من شهر شعبان سنة ٧٣٧ هـ قائلاً:[١٢٢] "فزينة الأرض مشهورة، وحلة الروض منشورة، والبسيطة مدت بساطًا مفوفًا، وأهدت من مطارف وشيهًا وزخارف نورها ألطافًا وتحفًا... فأرحنا فيها تعب الأبدان، وسرحنا منها في بلد من أحسن تلك البلدان، بلد حسنه يفقه من كان بليدًا، حتى يعود ليبدأ، فسيحة الساحة، مستطيلة المساحة، نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة، ما شئت من منظر عجيب، وجانب رحيب، وبسيط خصب، وساحل قريب، ومكان مؤنس لكل غريب، يزهر بالحسن المحض، والنور الغض، وناهيك بالشام، شامة الارض". وتطرق البلوي إلى بساتين غزة وأنهارها وأشجارها دون الخوض في تفاصيلها، فمن المعروف أن غزة تتميز باعتدال الهواء، وتتوفر فيها مياه الآبار والأمطار، وتشتهر بكثرة الفواكه، والثروة الحيوانية فهي "موضع زرع وماشية وموضع مجمع حاضرة وبادية".[١٢٣]

وجاء وصف العبدري لها مقربًا لصورتها الحقيقية من مكانة وأثر "مدينة متسعة عامرة لا سور لها، وبينها وبين البحر مسافة أميال، وهي أكثر عمارة من كل ما تقدم ذكره من بلاد الشام، وهي جسر إلى مصر والى الشام، وبها أسواق قائمة ومساجد معمورة".[١٢٤] لكن وصف العمري يجعلها أقرب للواقع من الوصف عندما قال عنها:[١٢٥] "وهي مبنية بالحجر والكلس، موثقة البناء على نشز عال على نحو ميل عن البحر الشامي، ذات هواء صحيح، وماء مصرف هاضم لا يستلذ، وشرب أهلها من الآبار، ولها مجمع للمطر يدوم به ماء الشتاء لكنه يستقل". وقال عنها العليمي:[١٢٦] "وبها كثير من الأشجار والنخل وحولها كثير من المغارس والمزارع، وفيها أنواع الفواكه"؛ ويذكر العمري الفواكه بالاسم "ولها فواكه كثيرة أجلها العنب والتين".[١٢٧] فضلاً عن اهتمام سلاطين المماليك بالزراعة من ذلك ما قام به السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦ هـ بقطع أنوف جماعة من المماليك تعرضوا لزرع غزة بالقطع.[١٢٨]

أما مدينة الخليل، التي دخلها يوم الخميس التاسع من شعبان قائلاً:[١٢٩] "فحللت فيها قصرًا عظيم البركة ظاهر الرحمة، لائح الأنوار، كريم المئاثر والآثار، ينبي عن الشام بطيب أنبائها، وحسن آلائها، ورقة هوائها، وبهجة بهائها، وجدا جداولها، وجنا جذاذلها، وتضوع أريج أسحارها، وتنوع بهيج أوهارها، وريا رياضها، ورونق جواهرها وأعراضها، وغرة أرضها وصحة هوائها وقلة أمراضها". وجاء وصف العبدري أكثر تفصيلاً بقوله:[١٣٠] "وهي قرية مليحة المنظر، أنيقة المسموع والمبصر، مشرقة كالصبح إذا أسفر، موضوعة ببطن واد قليل الماء والشجر، والمحيط بها حرار وعرة". أما ابن بطوطة فوصفها باختصار قائلاً:[١٣١] "وهي مدينة صغيرة الساحة، كبيرة المقدار، مشرقة الأنوار، حسنة المنظر، عجيبة المخبر، في بطن واد". ولعل وصف العمري لها هو أكثر تكاملاً وشمولاً عندما قال عنها:[١٣٢] "فإنها بلدة غير مسورة على نحو يوم من القدس بالسير المعتاد، وهي منطوية بين جبال، لا هي في صحراء ولا في واد، وهي قرية أم عمل، ولولا مكان الخليل عليه السلام بها، لم تذكر فيما يذكر".

أما مدينة القدس، التي دخلها يوم الإثنين الثالث عشر من شهر شعبان فقال عنها:[١٣٣] "بلدة الأفق المنير ونجمه، والنجم الذي لا تمتطي صهواته، وصلناها والليل في سن الإكتهال، وأيدينا ممتدة بالشكر لله تعالى والابتهال، فوافينا مدينة واسعة الرقعة طيبة البقعة، سامية الأرتفاع، مشرفة البقاع، مباركة الأغوار والتلاع، عذبة المراد، منمنمة الأبراد، ممرعة الجنبات، متنوعة النبات، ممدودة الظلال، مودودة الخلال، مأمولة السعادة مسعودة الآمال، ضخمة البناء، واسعة الفناء، تشهد لسكانها بالثراء والسناء، قد أخذت من كل المحاسن نصيبًا، وفوقت إلى هدف الفضائل سهمًا مصيبًا، وملئت ظرفًا وأدبًا، وأوتيت من كل شيء سببًا". ويأتي وصف العبدري واقعيًا أكثر بعيدًا عن التغني بالمدينة وطبيعتها قائلاً:[١٣٤] "والبلد مدينة كبيرة، منيعة محكمة، كلها من صخر منحوت على نشز غليظ مقطوع بجهات الأودية، وسورها مهدوم، هدمه الملك الظاهر خوفًا من استيلاء الروم عليها، وامتناعهم بها، والخراب فيها فاش، وليس بها نهر ولا بستان، وحواليها تلال مشرفة عليها".

كذلك وصف مدينة الرملة، التي دخلها يوم السبت الثاني من شهر صفر قائلاً عنها:[١٣٥] "فنزلنا بها بمدينة غضة المنظر حسنة المخبر، ممتعة بالروض الناعم، والنسيم الأعطر، أحسن المدائن أزقة وأسواقًا، وأكثرها فواكه وأرزاقًا، وأملحها بياضًا وأشراقًا، وأبدعها اتصالاً بالبساتين والتصاقًا، قريبة من البحر بعيدة من الغور، كثيرة المساجد والخير، معتدلة الهواء سامية البناء، واسعة الفناء ساكنة المساكن، مكينة الأماكن، لائحة المباهج واضحة

المناهج، رائقة المنازه رائعة المنازل، مرنة الرباب، معشبة الشعاب، هامرة السحاب عاملة الجناب، سافرة المطالع وافرة الصنائع، سابغة المدارع، سائغة المشارع، صافية الزلال، ضافية الظلال، سارة الأسارير، زاهرة الأزاهير، معقودة الحبا معهودة الربا، جليلة العلا جميلة الحلا، جائشة الجيوش، معرشة العروش، فيها جنات من نخيل وأعناب، طوبى لمبصرها وحسن مئاب". يستفاد من وصف البلوي المفصل والدقيق عن مدينة الرملة عن باقي مدن فلسطين، أنها تمتاز بكثرة بساتينها وتعدد فواكهها، وهذا ما أكده ناصر خسرو[١٣٦] عند حديثه عن المدينة وكيفية خزن المياه للزراعة "فقد بني في كل منزل حوض لجميع مياه المطر، فيبقى ذخيرة دائمة". فضلاً عن وصفه لبعض فواكه المدينة ومنها التين بقوله:[١٣٧] "وفي الرملة صنف من التين ليس أحسن منه في أي مكان، يصدر منها إلى جميع البلاد".

وكانت المحطة الأخيرة هي عسقلان التي دخلها يوم الإثنين الرابع من شهر صفر قائلاً:[١٣٨] "وهي مدينة كبيرة مفروشة بالرخام عجيبة، وكانت دار ابراهيم عليه السلام... فسرحنا بمسرح آمال، جنتان عن يمين وشمال، روضات قد أينعت فيها الأزهار، وانبعثت الأعين وعنت الأطيار، فحللناها بلدًا أفقر وخرب، وأكل الدهر على محاسنها وشرب، وترك ساحته كدرامية بالعلياء، وغادره منقض الفناء، متقلص الأفياء". كذلك وصفها العبدري بأنها خراب وليس بها أنيس، لكنه مع ذلك يؤكد على محاسنها وما اشتملت عليه من المحاسن "وقلما رأيت من البلدان ما جمع من المحاسن ما جمعت عسقلان جبرها الله صنعًا واتقانًا ووضعًا ومكانًا، وبرًا وبحرًا، وعامرًا وقفرًا، لها على البر والبحر طرف ممتد، وحكم ماض لا يرتد، ترنو اليها من شرف وتتلو عليهما سور الشرف، وتزهو بتقلبها في الترف، في روضة جمة الأزهار والطرف".[١٣٩] ولم يختلف وصف ابن بطوطة عن هذا الوصف، بخراب المدينة بعدما كانت عامرة، لكنه عاد ووصف محاسن المدينة بقوله:[١٤٠] "وقل بلد جمع من المحاسن ما جمعته عسقلان، اتقانا وحسن وضع وأصالة مكان، وجمعًا بين مرافق البر والبحر".

٢/٢-مساجد ومدارس فلسطين عند البلوي:

جاء ذكر المساجد عند البلوي بصور مختلفة، فأحيانًا يفصل القول في قسم منها، وأخرى يختصر، أما المدارس فقد ذكر مدرستين بالاسم فقط.

١. المساجد:

وفقًا للمدن الفلسطينية التي زارها البلوي، نجد أنه ذكر مساجد كل المدن باستثناء مدينتي غزة وعسقلان، فمدينة غزة أغفل ذكر مساجدها رغم شهرتها التي أشار اليها ابن بطوطة بقوله:[١٤١] "بها المساجد العديدة ولا سور عليها، وكان بها مسجد جامع حسن، والمسجد الذي تقام الآن به الجمعة فيها، بناه الأمير المعظم الجاولي[١٤٢]، وهو أنيق البناء محكم الصنعة، ومنبره من الرخام الأبيض". وأما مساجد عسقلان فلم يذكر لها مسجدًا مسمى، سوى أنه ذكر حين دخوله للمدينة قائلاً:[١٤٣] "فأطلت الركوع والسجود في ذلك المسجد الحافل، وظلت أتبرك بما تضمنه من الآثار الجلائل". في حين يذكر العبدري أن في عسقلان مسجد كبير مليح يسمى مسجد عمر، وقد تهدم ولم يبق منه إلا الحيطان، فيه أساطين من الرخام قائمة وموضوعة في غاية الحسن، وبه أسطوانة حمراء جميلة جدًا.[١٤٤] وهذا يؤشر على اغفاله عن ذكر المواضع الهامة كما بينت ذلك كتب الرحلات.

. مساجد الخليل:

ذكر البلوي مسجدًا في مدينة الخليل الذي سماه بالمسجد الأعظم قائلاً:[١٤٥] "دخلت المسجد الأعظم فرأيت من حسنه عجبًا، ومن بنيانه ما شئت فضة وذهبًا، لا تدرك مبانيه السامية، ولا تلحق آثاره العالية، له أبواب حافلة من الحديد، وشباك منه بديع، وبنيان بالرخام والأحجار العظام الهائلة المنحوتة الضخام، عددت في في طول الحجر الواحد منها أربعة وثلاثين شبرًا، وفيها أكبر من ذلك وأصغر، قد أسس ذلك المسجد العظيم عليها وبنى ظاهره وباطنه منها فجاء جامعًا عجيبًا واسع المساحة، بديع الصنعة، أحدق بجميعه سور جليل بناؤه من الصخر الجسيم، قد جمع الحسن والحصانة والعلو والمتانة، يشرق بياضه على بعد المتأمل... وداخل المسجد الأعظم موجة القبلة بالرخام المجزع المختلف الألوان، الغريب الترصيع الفائق الحسن، قد أفرغ فيه الذهب المضروب والتبر الخالص افراغًا".

وتطرق البلوي إلى تربة إبراهيم (عليه السلام) ووصفها وصفًا دقيقًا[١٤٦] "وفي وسط المسجد الكريم تربة الخليل أبينا ابراهيم عليه السلام، قد جن بها من الشماعات العظام المذهبة والأستار المكللة المطرزة، والمصابيح البديعة المموهة كل حسن رائق رائع، وأمامه ضريح زوجه رضوان الله عليها". ويتوسع البلوي في ذكر كرم الضيافة في هذا الجامع بقوله:[١٤٧] "وما بين المسجد الكريم والقبة الجوفية صحن عظيم كبير جدًا فيه في المسجد أيضًا هو مجتمع الواردين والمقيمين من الأغنياء والفقراء والأمراء والكبراء للضيافة المباركة، ضيافة الخليل عليه السلام، في كل يوم بعد صلاة العصر على توالي أحقاب الدهر، وفيه حضرتها مع جملتهم متبركا بذلك".

ويؤيد العليمي ما ذهب اليه البلوي حول كرم الضيافة، بل ويفصل في ذلك قائلاً:[١٤٨] "وهذ السماط من عجائب الدنيا يأكل منه أهل البلد والواردين، وهو خبز يعمل في كل يوم، ويفرق في ثلاثة أوقات بكرة النهار وبعد الظهر لأهل المدينة وبعد العصر تفرقة عامة لأهل البلد والواردين، ومقدار ما يمل فيه من الخبز كل يوم أربعة عشر ألف رغيف، ويبلغ إلى خمسة عشر ألف رغيف في بعض الأوقات، وأما سعة وقفه فلا تكاد تنضبط، ولا يمتنع من سماطه الكريم أحد لا من الأغنياء ولا من الفقراء".

. مساجد القدس:

ذكر البلوي عددًا من المساجد في القدس لعل أهمها وأقدسها هو المسجد الأقصى الذي قال عنه:[١٤٩] "ثم قصدت الحرم الشريف والمسجد العظيم المنيف، الذي بارك الله حوله، وعرفت كل أمة فضله، المسجد الأقصى موضع المعراج والإسراء، وكفى بهذا شرفًا وفخرًا، فرأيت بقعة لها نور وفضل مأثور وشرف معلوم مذكور،

ومسجد له حرمات ومقام تخطر فيه خطرات وتعرض مقامات، ومحل تفيض عليه بركات، وتستجاب فيه دعوات، ومكان يمكن فيه الالتفات وتقصر عنه الصفات، وتكل في تصنيف محاسنه الياءات والألفات، قد جمع شرف المقدار إلى طيب التربة وفضيلة الدار، وشهرت مفاخره فأية البقاع تفاخره؟ وراقت محاسنه فلا منظر يحاسنه! وفاقت مآثره جميع من يكاثره، وأمتع بكل سليم الود وحيا، وأطلع نور البشر في أفق المحيا. وهذا المسجد الشريف هو أعظم مساجد الدنيا، طوله سبعمائة وثمانون ذراعًا، عرضه أربعمائة وخمسون ذراعًا، فيكون تكسيره في المراجع المغربية مائة مرجع، وسواريه أربعمائة وأربع عشرة سارية، وأبوابه خمسون بابًا، يطيف به سور سعته ثلاث خطوات، قد أسس بالحجارة العظيمة وألواحه الكبار المنحوتة الهائلة بنته الجن لسليمان عليه السلام، والمفتوحة الان من أبوابه اثنا عشر بابًا، كل باب منها له الوجه المنقش الحسن المرقش، فيها باب مصفح بالعقيان واللجين مغمد بهما قد قام على ما راق الأبصار وأعجب الأنظار، ومنها باب الرحمة وباب التوبة بابان من الجهة الشرقية".

وقد خالف ابن بطوطة البلوي في بعض التقديرات، فذكر أن طوله سبعمائة واثنان وخمسون، وعرضه أربعمائة وخمس وثلاثون ذراعًا، أما الأبواب فلم يذكر عددها بل اكتفى بكثرة عددها، وأن الجهة القبلية ليس فيها إلّا بابًا واحدًا.[١٥٠] بينما يذكر العبدري أن أبوابه كثيرة من الشرق والغرب والشمال، ولا يوجد سوى بابًا قبليًا يدخل منه الإمام؛ فضلاً عن أن المسجد كله فضاء غير مسقف إلا الناحية الغربية.[١٥١] أما العليمي، فيبدو أنه استفاد من وصف البلوي، بدليل أن وصفه مشابه لوصفه إلا في جزئيات بسيطة، مثال ذلك قام بذكر أبواب المسجد الاثني عشر وهي (الرحمة، التوبة، الأسباط نسبة لأسباط بني اسرائيل، حطة في الجهة الشمالية من المسجد، الدويدارية، الغوانمة نسبة إلى بني غانم، الناظر، الحديد، القطانين، السلسلة، المغاربة، الجنائز).[١٥٢]

ويستدل البلوي في وصفه لبيت المقدس ومسجده الشريف بالآيات القرآنية، ففي قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾[١٥٣]. يقصد به سور بيت المقدس الشرقي، وذهب أكثر من ذلك إلى قول المفسرين دون الإفصاح عن اسمهم بقوله:[١٥٤] "وروى المفسرون عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن ابن عباس أيضًا.. أنه سور بيت المقدس الشرقي له باب يسمى باب الرحمة من بيت المقدس. قال كعب باطنه المسجد وظاهره وادي جهنم".

ويستمر البلوي في وصفه الدقيق للمسجد قائلاً:[١٥٥] "وفي الجهة القبلية المسجد الأعظم الحافل الذي عليه اليوم اسم المسجد الأقصى، فيه الخطبة والجمعة والمنبر الذي جمع الله فيه من كل إبداع عجيب واختراع غريب، والمقاصر التي لا نظير لها غرابة صنعة، وجود انشاء، والسواري المفضضة الملونة من ألوان شتى من حمرة قانية وصفرة فاقعة وبياض ناصع... وبأعلى المحراب مكتوب بالذهب في أربعة أسطار ما نصه، أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس، عبد الله ووليه يوسف بن أيوب المظفر الملك الناصر صلاح الدين والدنيا، عندما فتحه الله على يديه سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وهو يسأل الله ايزاعه شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة ". ويذكر أن السلطان صلاح الدين الأيوبي لما حرر بيت المقدس طلب أن يعمل للمسجد منبرًا، فقيل له أن نور الدين محمود كان قد عمل منبرًا في حلب سنة ٥٦٤ هـ وهو في غاية الإتقان، فأمر صلاح الدين بإحضاره من حلب فنصب ببيت المقدس.[١٥٦]

وذكر البلوي عددًا من المساجد الملاصقة للمسجد الأقصى وهي، المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقع شرقي المدينة؛[١٥٧] ومسجد عيسى الواقع خارج المسجد الأقصى من ناحية المشرق له قبتين؛[١٥٨] وفي غرب المسجد الأقصى مسجد حسن للمالكية يسمى بمسجد المغاربة.[١٥٩]

كذلك تطرق إلى الأجباب الموجودة في المسجد الأقصى، منها جب سليمان ذكره مفصلاً لم يسبق لأحد أن ذكره مثله قائلاً:[١٦٠] "أن عمر بن الخطاب لما قدم بيت المقدس خرج رجل من أصحابه يستسقي في جب سليمان، وهو جب في داخل المسجد فخرت دلوه في الجب فنزل بها يستخرجها، فبينما هو يطوف في الجب إذ أتاه ملكان فأخذا بعاتقه فذهبا به حتى أدخلاه الجنة فجعل يسريان به فيها فكان كلما مرا على شجرة لها ثمر يمد يده إلى ثمرها فيؤخره الملكان حتى مرا به على شجرة ذات أفنان فمد يده فأخذ ورقة واحدة فقال له الملكان: لو ملكت يدك لسرنا بك اليوم إلى يوم القيامة، ثم انصرفا به إلى الجب فخرج عند صلاة الظهر فأتى عمر فأخبره بالذي كان وضبط يده على الورقة فقال عمر: اضمم يدك عليها ثم بعث إلى كعب الأحبار[١٦١] فأتاه فقال: يا أبا اسحاق! هل تجد في علمك أن رجلاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة ثم يخرج منها قال: نعم يا أمير المؤمنين قال هل تسميه قال نعم فهو شريك بن حماشة النميري[١٦٢] قال فانظر هل تراه فنظر كعبا مليا ثم قال هو ذا فقيل لكعب صف الورقة قال نعم كانت مثل الكف العظيمة أشبه شيء بورق الزراقين يعني الخوخ ففي بيت المقدس اثنا عشر جبًا، ليس فيها جب أطيب ولا أعذب ولا أبرد من هذا الجب وهو يسمى ببير الورقة".

وتؤكد كتب الجرح والتعديل هذه الرواية، فقد ذكر ابن حيان هذه الرواية بقوله:[١٦٣] "ذهب يستسقي من جب سليمان الذي في بيت المقدس فانقطع دلوه فنزل الجب ليخرجه فبينما هو يطلبه في نواحي الجب إذ هو بشجرة فتناول ورقة من الشجرة فأخرجها معه فإذا هي ليس من شجر الدنيا، فأتى بها عمر بن الخطاب فقال: أشهد أن هذا هو الحق سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يدخل من هذه الأمة رجل الجنة قبل موته، فجعل الورقة بين دفتي المصحف". كذلك تطرق إلى ساقية ماء تأتي من مسافة شاقة ومهوى بعيد من الأرض قطعت لها الجبال وصدعت لها الصخور الجليلة، حتى انصبت منها المياه على المسجد الأقصى، فأروت وأغدقت وفاضت إلى "خسة[١٦٤] من رخام كبيرة أمام المسجد الأعظم في وسطها فوارة يجري فيها الماء، وفي وسط هذا الصحن صحن عال مرتفع يصعد اليه بأدراج عالية كثيرة من

جهات ثمانية وهو مفروش بالرخام الأبيض، وفي وسط هذا الصحن الأخير المرتفع القبة العظيمة القدر الكبيرة الخطر التي كان محاسن الدنيا مجموعة فيها ومحصورة في نواحيها، فهي من أعاجب الدهر وأحسن ما يرى بالبصر ويتخيل في الفكر".[١٦٥]

. قبة الصخرة:

يُعَدّ وصف البلوي لقبة الصخرة من أروع ما وصف به الرحالة السابقين له أو اللاحقين، إذ جاء وصفه شاملاً دقيقًا مستوفيًا لعظمة هذه القبة وتاريخها عند المسلمين. ابتدأ ذكرها بقوله:[١٦٦] "وهي مصنوعة من قبة مثمنة الحائط والأركان من داخلها وخارجها مستوية السقف، أعلاها ذهب مضروب في صنائع عجيبة وجوانبها كلها من داخلها ملبسة بألواح الرخام المنثور الملصق الصاقًا محكمًا مخططًا بالخطوط الكحل تخطيط القدرة الربانية، فجاء منها خواتم عجيبة وطوالع مختلفة الصناعة غريبة، وفي وسط هذه القبة المثمنة المستوية السقف قبة أخرى[١٦٧] قد بعد في السماء مرتقاها حتى تساوي ثراها مع ثرياها وجازت الجوزاء سمتًا وعزلت السماك الأعزل سمكًا وارتقت في الهوى وأسرت إلى السماء النجوى، وانتهت في الحسن الغاية القصوى فكأنما صورت جنة الخلد وأشربت حبة القلب وأوسعت قرة العين، ونقشت في عرض الأرض وأبرزت في الأبريز الخالص المحض قد اتفق الذكر فيها وضرب المثل بتناهيها، وبلغ الخاصة والعامة خبرها وبعد فيهم صيتها وارتفع ذكرها وعظم خطرها وتوافى الناس اليها من البعد والقرب والشرق والغرب متأملين لها متعجبين من مونق مرعاها ورونق سناها، والتقى رجال برجال قد دخلوا البلدان واستبدلوا الأوطان وجالوا في الأمصار وجابوا في الأقطار فأقسم كل واحد منهم بجهد قسمه أنه ما رأى لتمام محاسنها تمامًا ولا بأنق ما انتظمته مطالعها انتظامًا ولا بعجيب ما تضمنه ايواؤها، ومنحته أفناؤها من النقوش السرية، والصنائع السنية التي لا يبلغ نقوش أهل الهند ولا تنتهيها نمنمة أهل الصين تدركها رقوم أهل رها، ولا تساميها دباسج تستر ولا يقارن بها وشي صنعاء ولو لم يكن لها إلّا السطح المدد المشرف على الصحن الكبير والقبة وعجائب ما تضمنته من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرق وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب موضون، وعمد كأنها أفرغت في القوالب، أو أعيرت ملمس النضار الدلامس، ونقوش كقطع الحياض، وتشجير كألفات الرياض، يتسنم بين ذلك كله أنه سنام الدنيا، سلسل برود يفرغ أمامه من تماثيل عجيبة الأشخاص في خوابي رخام تهد الجبال ضخمًا ولا تهتدي الأوهام إلى سبيل الألفاء بها".

أما عن فيما يخص سقف قبة الصخرة، فيذكر عن أحد علماء عصره (شمس الدين الكركي) أن الرصاص الذي على السقف بلغ زنته ثلاثين ألف قنطار بالدمشقي، وبالموفى مائة ألف وعشرون ألف قنطار كاملة ؛ ولما بنى الخليفة عبد الملك بن مروان[١٦٨] القبة على الصخرة جعل على الجانبة التي أعلى القبة ثمانية آلاف صفيحة من نحاس مطلية بالذهب في كل صفيحة سبعة مثقال وأفرغ على رأس الأعمدة مائة ألف مثقال ذهبًا وفي وسطها مكتوب بالذهب في أرض سماوية لا زوردية على الدائرة ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد تذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المؤيد من السماء ناصر الدنيا والدين محيي العدل في العالمين وظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه محرر ممالك الدنيا ومظهر كلمة الله العليا مشيد أركان الشريعة الشريفة، سلطان الإسلام الشهيد الملك المنصور قلاوون[١٦٩] تغمده الله برحمته وذلك في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وتحت هذه القبة العجيبة الصخرة الشريفة التي هي كالجبل الراسي والطود العظيم معلقة وسط الفضاء بين الأرض والسماء لا صعودًا ولا نزولاً، انما يمسكها الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا [١٧٠]، وقد انصنع بهذه الصخرة الشريفة والبنيان الدائر بها نوع من مغارة كبيرة تفضي اليها أدراج جملتها خمسة عشر درجًا وفيها سطح مفروش بالرخام المجزع المختلف الألوان البديع الصنعة، وهو موضع مبارك للصلاة، وفي الطرف القبلي من الصخرة الشريفة أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم[١٧١] يتبرك به الناس ويمرغون خدودهم فيه، وقد طاف بالصخرة الشريفة شباك من العود، وبعده شباك آخر من الحديد[١٧٢]، ثلاثة أبواب وبين الشباكين فضاء واسع للصلاة".[١٧٣]

كذلك تطرق إلى أبواب القبة وعددها أربعة أبواب، فالباب الجوفي منها يسمى باب الجنة وبأعلاه مكتوب بالخط الحسن هذا باب الجنة، وبأعلى الباب الثاني منه لوح نحاس كبير مكتوب فيه بالنقش المحكم ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا اله إلّا هو الحي القيوم لا شريك له الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، عبد الله ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، آمنا بالله وبما أنزل على محمد وبما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، صلى الله عليه وسلم، على محمد عبده ونبيه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، مما أمر به الإمام المأمون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه في ولاية أخيه أمير المؤمنين أبي اسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله وجرى على يد صالح بن يحيى مولى أمير المؤمنين في شهر ربيع الأخير سنة ست عشرة ومائتين، وأعلى الباب الثاني من الباب الشرقي لوح آخر من نحاس أيضًا مكتوب هذا النص المذكور بجملته".[١٧٤]

وتطرق البلوي إلى قبة السلسلة[١٧٥] التي قال عنها:[١٧٦] "قبة تغشى النواظر بشعارها، وتخطف الأبصار بالتماعها تسمى قبة السلسلة، التي كان يحكم بها داود عليه السلام، وهي قبة عجيبة قامت على أسوار مختلفة وصناعة على الحسن مشتملة بوسطها تاريخان مكتوبان بالذهب أحدهما في أرض خضراء زراعية ونصه: بسم الله الرحمن الرحيم وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنّا لحكمهم شاهدين، ففهمناها سليمان، وكلاً آتينا حكمًا وعلمًا [١٧٧]، كمل تجديد بطن هذه القبة (السلسلة) المباركة ونقش سقفها وتبليطها في شهور سنة ست وتسعين وخمسمائة".[١٧٨]

بينما جاء وصف العمري لقبة السلسلة بشيء من التوسعة والتحديد "وهذه القبة محمولة على اثني عشر عمودًا أخضر مرسيني، طول كل عمود خارجا عن قواعده ثلاثة أذرع وربع وثمن، وارتفاع سقفها البسط الملبس بالرصاص ثمانية أذرع.. وما بين العمود والعمود متكاية من الحجر الصوان المنحوت المجلي تقدبر شبر لا غير، طول كل قطعة من هؤلاء أربعة أذرع ونصف، وعرض ما بين عمودي المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملون، بخدي المحراب عمودان رخام أبيض، وبأعلى هذه الأعمدة قناطر ملبسة بالفص المذهب والأخضر المختلف الألوان، ارتفاع القناطر ذراعان وربع، وسعتها من المحراب لآخرها ثمانية ثمانية عشر ذراعًا".[١٧٩]

وتحدث البلوي عن مسجد[١٨٠] يقع في الركن الغربي من الصحن فيه قبتان منتظمان عجيبتان فيهما رسوم مذهبة وتواريخ مختلفة، ونصه: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلواته على خير خلق الله محمد وآله وصحبه، أما بعد فما زالت همم ملوك الإسلام تناصر على اثبات مفاخر يبقى ذكرهم ببقائها، وانشاء محاسن يباهون الأمم بهائها، فيحييون رسومًا طالما نسجت عليها العناكب، ويرقمون على صفحات الأيام من الخيرات رقمًا تشرف اليه الكواكب فتظل عيون الأماني بمآثرهم قريرة، وأعواد أحبالهم بمفاخرهم مورقة نظيرة، أعطاهم الله قدرة فصرفوها إلى رفع أقدارهم، وآتاهم الدنيا فلم يتركوها غفلا من محاسن آثارهم... فلله در فتى تبقى مساعيه بعده مشكورة، ومناقبه ما بقيت آثارهم مذكورة، ولما تشعث السقف الذي كان أنشأه الملك المعظم الواقف المذكور رحمه الله انتدب لأحيائه عبد الله الفقير اليه أسد الدين عبد القادر سبط الواقف بحكم ما اليه من النظر الشرعي في أوقاف جده فجدده وبذل وسعه وطاقته فيه ابتغاء مرضاة الله تعالى وكان الفراغ منه في ربيع الأخير سنة تسع وعشر وسبعمائة من الهجرة النبوية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم".[١٨١]

فضلاً عن ذلك؛ ذكر عددًا من القباب المشهورة هناك منها، قبة الركن المشرقي الحافلة[١٨٢]، وقبة المعراج[١٨٣]، وقبة الميزان الرخامية، وقبة موسى البديعة[١٨٤]، وقبة سليمان الرائقة.[١٨٥] ولم يفت البلوي في ذكر المشاهد والآثار الموجودة هناك، أمثال جبل الطور[١٨٦] الذي هو جبل عظيم منه رفع سيدنا عيسى (عليه السلام) إلى السماء فيما يذكر، ويقع بشرقي الحرم القدسي وفيه قلعة مباركة في أعلاها مسجد شريف حافل مؤسس بالسواري الحسنة الضخمة والرخام الأبيض الصافي، والحجر المنجور الجافي، يقصده الناس للتبرك.[١٨٧]

وذكر عدد من الترب منها، تربة الصالحة الولية رابعة العدوية[١٨٨] التي تقع دون الجبل وأعلاها قبة مباركة يفضي اليها أدراج؛[١٨٩] وعلى بعد منها أيضًا قبة كبيرة مختلفة فيها تربة مريم (عليها السلام) تفضي إلى أدراج هابطة إلى التربة الكريمة عددت فيها ثمانية وأربعين درجة.[١٩٠] فضلاً عن البقاع الطاهرة وقبور الأنبياء (عليهم السلام) وآثارهم، ويذكر أن ما تم ذكره عن تلك المشاهد والمساجد والمعاهد "إلا كالنقطة الواقعة في البحر، والذرة الساقطة في القفر، والشرارة من الجمر".[١٩١]

. مساجد الرملة:

لم يذكر البلوي سوى جامعًا واحدًا في الرملة، وذلك عند زيارته للمدينة سنة ٧٣٨ هـ، فقد زار الجامع الكبير في المدينة ووصفه بقوله:[١٩٢] "دخلت بداخلها المسجد الجامع الكبير حيث الخطبة الكبرى، والجماعة العظمى وهو المشتهر بالجامع الأبيض له صحن كبير جدًا فيه أشجار وأطيار وجب وآبار، فيها ماء كثير عذب نمير، وفي وسط الصحن مغارة عظيمة كبيرة تفضي إليها أدراج كثيرة، قد قامت على أقواس محنية وأرجل مختلفة مبنية، ذكر أن فيها جماعة عظيمة من الأنبياء مدفونين يعدهم النساك بالمئين، زرناها لما يؤثر عنها من البركات والأعمال بالنيات وعلى باب المسجد المذكور تاريخان منقوشان في الرخام، وقدمهما وأخصرهما ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر بعمارة هذا المسجد الجامع المبارك إياس عبد الله بن جهة الأمير علم الدين قيصر رحمه الله ورحم مَنْ ترحم عليه، سنة ثمانين وخمسمائة".[١٩٣]

وبالنسبة لتاريخ هذا المسجد فإن الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك قبل توليه الخلافة كان على جند فلسطين من قبل أخيه الخليفة الوليد، فقام بعدة أعمال منها، أنه في سنة ٩٦هـ اختط للمسجد خطة وبناه، وأثناء خلافته عمل فيه، وكمل تمام المسجد في خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أنقص من الخطة وعلل ذلك بقوله: "أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذي اقتصرت بهم عليه".[١٩٤] ويذكر العمري قصة بناء المسجد بأن سليمان بن عبد الملك ومعه رجاء بن حيوه،[١٩٥] نزلا عند امرأة تدعى رملة، فأكرمتهما وأعجبا بها، وبمكانها، فأشار عليه رجاء أن يبني مسجدًا للمسلمين، فخط سليمان مسجدًا صغيرًا ودارًا للإمارة، فقال له رجاء أن الرملة ستكون مدينة كبيرة فلا بد لها من مسجد كبير، ويضيف أن الخليفة عبد الملك بن مروان طلب من ملك الروم أن يزوده بأعمدة ورخام، فأجاب طلبه وبعث له أعمدة ورخام لم ير مثلها في الاعتدال والحسن.[١٩٦]

وصفه العليمي[١٩٧] بقوله: "وهو جامع متسع مأنوس عليه الأبهة والوقار والنورانية ويعرف في عصرنا وقبله بالجامع الأبيض، وفي صحنه السماوي معارة تحت الأرض مهيبة يقال أن بها دفن سيدنا صالح النبي عليه السلام". وشهد المسجد عدة إصلاحات، ففي عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩ ـ ٥٨٩ هـ / ١١٧٣ ـ ١١٩٣م) وتحديدًا سنة ٥٨٦ هـ تم تجديد عمارته، وفي عصر السلطان الظاهر بيبرس عندما فتح مدينة يافا[١٩٨] سنة ٦٦٠ هـ، قام بإعمار القبة التي على المحراب والباب المقابل للمحراب، وهو المجاور للمنبر الذي يخطب عليه للعيد، كذلك قام بإعمار المنارة القديمة التي زالت ثم بنى عوضها المنارة الجديدة.[١٩٩]

٢. مدارس القدس:

تطرق البلوي خلال رحلته إلى مدن فلسطين إلى الحركة العلمية على وجه الخصوص، ومنها المدارس التي لم يسم منها سوى اثنين في مدينة القدس، الأولى بالقرب من المسجد الأقصى، والثانية بالقرب من قبة الصخرة. ولا أبلغ من وصفه لتلك الحركة العلمية بقوله:[٢٠٠] "وفي كل مسجد من تلك المساجد ومدرسة من تلك المدارس، وقبة من تلك القباب إمام عاكف به قائم عليه". على أن ذكر هاتين المدرستين لا يعني أن القدس اقتصرت عليهما، بل أن العليمي ذكر ست وأربعون مدرسة في المدينة.[٢٠١]

المدرسة الفخرية: ذكر البلوي هذه المدرسة بأنها تقع بجوار مسجد المغاربة من جهة الغرب.[٢٠٢] وهذه المدرسة تسمى خانقاه الفخرية، وهي بداخل سور المسجد وبابها من داخل المسجد عند الباب الذي يخرج منه إلى حارة المغاربة؛[٢٠٣] واقفها هو المقر العالي القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الإسلامية، كان قبطيًا فأسلم وحسن إسلامه.[٢٠٤]

المدرسة الذنقيدية: ذكرها البلوي بهذا الاسم، وقال أنها تقع في الجهة الغربية من الصحن المثمن لقبة الصخرة ووصفها وصفًا جماليًا مع ذكر النقوش التي عليها "مدرسة عجيبة غريبة الشكل غزيرة المياه حافلة الصنعة بابها ملاصق لباب الحرم تسمى الذنقيدية، ويسكنها الصوفية وقد حف بها من الرسوم المذهبة العجيبة والخطب الأدبية الغريبة والألفاظ البعيدة القريبة، كل من أتى بالعجب، وسفر عن الحسن المنتخب، ووجب أن كتب هناك بذوب الذهب، اخترت أخصرها ونقلت أيسرها فكان الذي ارتضاه الاختيار واقتضاه الاقتصار ما قيدته من مباح الطبقة العليا ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رفع لبيت المقدس في سائر الملل ذكرًا، وفضله على أكثر البقاع شرفًا وفخرًا، وجمع القلوب على محبته تعظيمًا لرتبته وقدرًا، وأسرى بخير خلقه اليه ثم أنزل عليه صلوات الله عليه، سبحان الذي أسرى[٢٠٥]، فيا بشرى لمن بنا لله فيه بينًا ولو كان شبرًا، ويا أسعد من أسدى للناس فيه ثوابًا وبرًا، لقوله ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾[٢٠٦] فأي خير أعظم من انشاء هذا المكان وبناء هذا الإيوان، الذي باب الرحمة مفتوحًا بين يديه، والطور أمامه والشجر تحت قدميه، والجامع الأقصى كالقمر ناظر اليه، والصخرة الشريفة كالشمس مقبلة عليه، وهو كالهلال قد ظهر بين الشمس والقمر. ما الشمس ما البدر في لألاء بهجته في كل ناحية من وجهه قمر. أرجو لبانيه أن يعطى أمانيه، وأن يفوز من الملك الجليل بالعطاء الجزيل والثناء الجميل والظل الظليل وحسبنا الله ونعم الوكيل".[٢٠٧]

في الحقيقة لا توجد مدرسة بهذا الاسم والصحيح أن اسمها المدرسة التنكزية نسبة إلى واقفها الأمير سيف الدين تنكز الناصري[٢٠٨] سنة ٧٢٩ هـ عندما كان مارًا ببيت المقدس عند عودته من مصر إلى دمشق.[٢٠٩] تقع هذه المدرسة في الجهة الغربية من الحرم القدسي عند باب السلسلة، ولها بابان، شرقي وهو مطل على الحرم الشريف، والثاني شمالي مطل على الطريق المعروف بطريق السلسلة؛ وهي مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بناءها.[٢١٠] وكانت هذه المدرسة نشطة في دروس الحديث الشريف الأمر الذي جعل النعيمي يطلق عليها دار الحديث السيفية.[٢١١] بينما أطلق عليها كلا من السخاوي والعليمي اسم المدرسة التنكزية.[٢١٢] فضلاً عن وجود أعلام المدرسين الذين جلهم من المحدثين يدرسون في هذه المدرسة أمثال: خليل بن كيلكدي العلائي،[٢١٣] وصلاح الدين العلائي،[٢١٤] والدليل الأخير أن جلّ العلماء الذين درسوا في هذه المدرسة كانوا من علماء الحديث.[٢١٥]

خَاتِمَةٌ

بعد أن استعرضنا المادة العلمية المتعلقة بأهمية كلاً من مصر وفلسطين في رحلة البلوي، كان لا بد من تسجيل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

- تُعَدّ رحلة البلوي واحدة من الرحلات المهمة في القرن الثامن الهجري، كونها سلطت الضوء على حقبة مميزة في التاريخ الإسلامي، بكل صدق وأمانة.
- اِعتمد البلوي في وصفه للمدن على المشاهدة العينية والوقوف عليها بنفسه، فضلاً عما سمعه من أوصاف عن طريق التلقي؛ وهذا لا يعني أنه لم يعتمد على وصف رحالة آخرين دون الإشارة إليهم، كما فعل في وصف بعض المعالم الجغرافية في مصر، فنجد أنه كان يعتمد على وصف ابن جبير وآخرين؛ لكن ذلك لا يقلل من أهمية وصفه لباقي نواحي المعالم.
- بينما جاء وصف مدن فلسطين امتيازًا بلويًا من خلال اقامته وتنقله بين هذه المدن، بل أن وصفه كان فريدًا من نوعه مقارنة بأوصاف الرحالة المسلمين سواء السابقين أم اللاحقين له؛ فقد جاء وصفه دقيقًا موسعًا مركزًا على النواحي المهمة في المدن، ولم يترك أثرًا أو مركزًا حضاريًا إلا وذكره.
- تُعَدّ رحلة البلوي مصدرًا مهما للعديد من الرحالة الذين جاءوا بعده، وهذا واضح في كتابات العليمي وغيره.
- من الملاحظ على رحلة البلوي أنها جاءت خالية من الإشارة إلى الحياة السياسية، على الرغم من أن الحقبة التي عاصرها كانت مليئة بالأحداث السياسية سواء على الصعيد الداخلي من ثورات وتمردات، أو الصعيد الخارجي المتمثل بالغزوين الصليبي والمغولي؛ ولعل هذا راجع إلى قصر مدة مكوثه في مصر وبلاد الشام، فضلاً عن دخوله كحاج يلفت نظره المنشآت والنواحي الحضارية دون غيرها.
- التوسع في ذكر مدن فلسطين على حساب المدن المصرية، كونه مكث طويلاً في فلسطين فأتاحت له ذلك، عكس مصر.
- أشارت الرحلة إلى مدى اهتمام سلاطين المماليك بالحياة العلمية من خلال إنشاء المساجد، والمدارس، والزوايا، والربط، فضلاً عن البيمارستانات.

الهَوامِشُ:

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت. ٨٠٨ هـ): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن الأستاذ خليل شحاذة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت: ١٩٨٨م)، ج ٤، ص ٢١٨.

(٢) لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني (ت. ٧٧٦هـ): **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق محب الدين الخطيب، ط١، المطبعة السلفية (القاهرة: ١٩٢٧م)، ص ٣٢.

(٣) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت. ١٠٤١هـ): **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة (مصر: ١٩٤٩م)، ج ١، ص ٣٤٤.

(٤) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمَنْ بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، نشره ليفي بروفنسال تحت عنوان تاريخ اسبانيا الاسلامية، ط٢، دار المكشوف (بيروت: ١٩٥٦م)، القسم الثاني، ص٣٣.

(٥) ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر (القاهرة: ١٩٧٣م)، ج٤، ص٢٨٠؛ **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تحقيق محمد كمال شبانه، دار الكتاب (القاهرة: ١٩٦٦م)، ص٣٣.

(٦) ابن خلدون، **العبر**، ج ٤، ص ١٧٤.

(٧) ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص ١٠٨.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٩) البلوي، خالد بن عيسى (ت. قبل ٧٨٠ هـ): **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن السائح، نشر اللجنة المركزية (الرباط: ١٩٧٨م) ، ج ١، ص ٢.

(١٠) ابن خلدون، **العبر**، ج ٤، ص ١٧٤.

(١١) نفح الطيب، ج ١، ص ١٨١.

(١٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨١.

(١٣) ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر (بيروت: د. ت)، ص ٨٤.

(١٤) المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص ٢٠٦.

(١٥) ابن الخطيب، **الاحاطة**، ج١، ص ٥١٦.

(١٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٥٩.

(١٧) **البلوي**: نسبة إلى قبيلة البلويين العربية وهي فرع من قضاعة اليمنية، فيها جماعة من الصحابة أمثال كعب بن عجرة وأبو الهيثم بن الهيجان (رضي الله عنهما). ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت. ٦٣٠هـ): **اللباب في تهذيب الأنساب**، مكتبة المثنى (بغداد: د.ت)، ج١، ص ١٧٧.

(١٨) **قنتورية**: بلدة صغيرة من أعمال ولاية المرية، تقع على نهر المنصورة بالقرب من بلدة المنصورية. ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص٥٠٠.

(١٩) ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمن (ت. ١٠٢٥هـ): **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس**، دار المنصور (الرباط ١٩٧٣م)، ص١٨٦.

(٢٠) علل ذلك بأن رحلته إلى المشرق كانت سنة ٧٣٦ هـ في مقتبل عمره، وقد تعود الرحالة الأندلسيين أن يرحلوا في فجر شبابهم، واستدل أيضًا بقول ابن الخطيب عن رحلته بأنه راح للمشرق مع اخضرار العود. مقدمة المحقق، ص١٥.

(٢١) **برشانة**: قرية من قرى أشبيلية في الأندلس. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت. ٦٢٦ هـ): **معجم البلدان**، دار صادر (بيروت: ١٩٧٧ م) ج ١، ص ٣٨٤.

(٢٢) مقدمة المحقق، ص ١٧.

(٢٣) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج ١، ص ٥٠٠.

(٢٤) البلوي، **تاج المفرق**، مقدمة المحقق، ج ١، ص ٤٣.

(٢٥) **الإحاطة**، ج ١، ص ٥٠٠ ؛ المقري، **نفح الطيب**، ج ٢، ص ٥٣٢.

(٢٦) **جذوة الاقتباس**، ج ١، ص ١٨٦.

(٢٧) إسماعيل باشا محمد أمين (ت. ١٣٣٩ هـ): **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د. ت)، ج ١، ص ٣٤٣.

(٢٨) خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط ٨ (بيروت: ١٩٨٩ م)، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٢٩) مقدمة المحقق، ص ١٦.

(٣٠) البلوي، **تاج المفرق**، المقدمة، ص ٤٠.

(٣١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٣٢) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٣.

(٣٣) نواب، عواطف محمد يوسف: **الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين**، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية (الرياض: ١٩٩٦ م)، ص ١٤٠.

(٣٤) مثال ذلك أخذه عن العالم أبو زكريا وجيه الدين يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن الأمان الصنهاجي المالكي، وذكر ولادته سنة ٦٦٧ هـ وهو إمام الفروع والأحكام، له رحلة قديمة وعى فيها الكثير، سمع عنه تآليف كثيرة وأجازه اجازة مطلقة تامة وكتب له بخطه. **تاج المفرق**، ج ١، ص ٣٧.

(٣٥) الكتاب فيه العديد من الوصف الجغرافي للمدن ومثال ذلك مدينة الكرك التي قال عنها "التي هي من أمنع معقل في الدنيا.. فرأيت مدينة عظيمة الجرم سامية الرسم، كأنها على مرقب النجم"، ج ١، ص٨٧ ؛ ومدينة الرملة "حسنة المخبر، ممتعة بالروض لناعم، والنسيم الاعطر، أحسن المدائن، أزقة وأسواقًا وأكثرها فواكه وأرزاقًا، وأملحها بياضًا وإشراقًا، وأبدعها اتصالاً بالبساتين والتصاقًا، قريبة من البحر بعيدة من الغور كثيرة المساجد"، ج ٢، ص ١٢٤.

(٣٦) أكد ذلك الدكتور حسين نصار محقق الرحلة عندما أشار إلى نقل البلوي من ابن جبير، وسوف نتناول ذلك بالتفصيل في وصف مصر وفلسطين عند البلوي ومقارنة ذلك بينه وبين ابن جبير وابن بطوطة.

(٣٧) من ذلك وصف لإعمار المسجد النبوي الشريف في عصر السلطان المملوكي بيبرس بنقله تلك العبارة "بسم الله الرحمن الرحيم خدم بهذه الدار بزينة للحرم الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس الصالحي، قسيم أمير المؤمنين في سنة ثمان وستين وستمائة" ج ١، ص ٩٤.

(٣٨) سنفصل الحديث عنها في موضعها في موضوع وصف مصر.

(٣٩) مثال ذلك الآية الكريمة من سورة النجم، وحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) في فضل المساجد الثلاث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال الا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى". ج ١، ص ٧٣.

(٤٠) **نفح الطيب**، ج ٢، ص ٥٣٢.

(٤١) **تلمسان**: مدينة مسورة في سفح جبل، لها خمسة أبواب، تعد قاعدة المغرب الأوسط، لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين، وهي دار مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الافاق. البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ): **المسالك والممالك**، مكتبة المثنى (بغداد: ١٨٥٧م)، ج ٢، ص ٧٤٦.

(٤٢) **بجاية**: مدينة على البحر تُعَدّ مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد حماد، وهي محط السفن والقوافل التجارية برًا وبحرًا، البضائع بها نافقة وأهلها من مياسير التجار، وتشتهر بالصناعة ومنها صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت. ٥٦٠هـ): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط ١ (بيروت: ١٤٠٩ هـ)، ج ١، ص ٢٦٠.

(٤٣) **قسطنطينية**: كانت رومية دار ملك الروم، وملك برومية قسطنطين الاكبر ثم انتقل إلى بيزنطة وبنى عليها سورًا وسماها قسطنطينية، وهي دار ملكهم لها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال، ولها أبواب كثيرة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٣٤٧.

(٤٤) **بونة**: من مدن أفريقية تقع بين مرسى الخرز وجزيرة مزغناي، وهي مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة على نحر البحر، بها أسواق حسنة وتجارة مقصودة رخيصة في بيعها، تشتهر بكثرة الفواكه والقمح والشعير فضلاً عن معادن الحديد، وكذلك تشتهر بتجارة المواشي. ابن حوقل، محمد بن علي (ت. ٣٦٧هـ): **صورة الأرض**، ط٢ مطبعة فؤاد بيبان وشركاؤه (بيروت: د. ت)، ج ١، ص ٧٥.

(٤٥) **قوسرة**: وتسمى قوصرة تقع شرق جزيرة مليطمة تلي مدينة مازر، وهي عبارة عن جبل عال مشرف، ولها مرسى من جهة الشمال، وهي مقطع للخشب الجيد يحمل منه إلى صقلية، وتُعَدّ مكمن للغزاة. البكري، **المسالك والممالك**، ج ١، ص ٤٨٨.

(٤٦) **مالطة**: جزيرة بين صقلية وأقريطش، تشتهر بكثرة الأغنام والحمير، فضلاً عن شهرتها في وجود العسل الذي يقصده الكثيرون. ابن حوقل، **صورة الأرض**، ج ١، ص ٢٠٤.

(٤٧) **أقريطش**: جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر أفريقية لوبيا، وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى ينسب اليها جماعة من العلماء. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ١، ص ٢٣٦.

(٤٨) **قبرص**: تسمى قبرس جزيرة في بحر الروم، وأهلها كلهم نصارى، أرضها خصبة جدًا، افتتحها الخليفة معاوية بن أبي سفيان صلحًا. الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت. في النصف الأول من القرن الرابع الهجري): **مسالك الممالك**، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني، دار القلم (القاهرة: ١٩٦٠م)، ص٥١.

(٤٩) **غزة**: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٤، ص٢٠٢.

(٥٠) **الخليل**: اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب بيت المقدس بينهما مسيرة يوم، فيها قبر ابراهيم الخليل (عليه السلام) في مغارة تحت الأرض، وبالخليل سمي الموضع واسمه الأصلي حبرون. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٨٧.

(٥١) **الكرك**: كلمة أعجمية وهي اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين آيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، وهي على سن جبل عال تحيط به الاودية. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٥٣.

(٥٢) **آيلة**: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، كانت مدينة جليلة في زمن سيدنا داود (عليه السلام) وهي التي يجتمع فيها حجيج الشام ومصر من جاء منهم عن طريق البحر. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ): **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر للطباعة والنشر (بيروت: ١٩٦٠م)، ص ١٥٣.

(٥٣) **تاج المفرق**، ج ٢، ص ١٢٢.

(٥٤) **الرملة**: قصبة فلسطين، مدينة بهية حسنة البناء خفيفة الماء واسعة الفواكه، جامعة الاضداد، تقع بين رساتيق جليلة ومدن سرية ومشاهد فاضلة وقرى نفيسة، تشتهر بالتجارة وجامعها لا يوجد أبهى منه في الإسلام، فيها فنادق وحمامات ومنازلها فسيحة. المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد البشاري (ت. ٣٨٠هـ): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٢ مطبعة بريل (ليدن: ١٩٠٦م)، ص ١٥١.

(٥٥) **عسقلان**: مدينة في الشام من أعمال فلسطين تقع على ساحل البحر بين غزة وجبرين، يقال لها عروس الشام، كانت رباطًا للمسلمين لحراسة الثغور منها. ابن عبد الحق، صفي الدين المؤمن البغدادي (ت. ٧٩٣هـ): **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١ (لبنان: ١٩٥٤م)، ج ٢، ص ٩٤٠.

(٥٦) **قاطية**: عند الجغرافيين تسمى قطية وهي قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفرما، وبيوتهم عبارة عن صرائف من جريد النخيل، وتشتهر بكثرة الاسماك لقرب البحر منها. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٥٧) هذه المسالك والطرق تم تتبعها من خلال حديث البلوي عن رحلته والاماكن التي تنقل فيها حتى وصل إلى مبتغاه.

(٥٨) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٣٥.

(٥٩) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٣٦.

(٦٠) أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد (ت. بعد سنة ٧٠٠ هـ): **رحلة العبدري**، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط ٢ (دمشق: ٢٠٠٥ م)، ص ٢١١.

(٦١) **سورة الفجر**، الآيتان (٧، ٨).

(٦٢) ابن كثير، عماد الدين أسماعيل بن عمر (ت. ٧٧٤ هـ): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ١٤١٩ هـ)، ج ٨، ص ٣٨٥.

(٦٣) هذه المعلومة لم أجدها عند ابن سعيد في كتاب الجغرافيا، ولا عند الزهري في كتابه الجغرافية، إنما وجدتها عند ابن الفقيه في كتابه **البلدان**، ص ١٢٥.

(٦٤) نجد أنه أخذ هذه المعلومة من ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت. ٣٦٥ هـ): **البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، ط ١ (بيروت: ١٩٩٦ م)، ص ١٢٥.

(٦٥) **تاج المفرق**، ج١، ص ٣٦. عند المقارنة مع وصف ابن جبير لبناء المدينة نجد أنه نقل ذلك حرفيًا. محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ): الرحلة، دار بيروت للطباعة والنشر، ط ١(بيروت: د. ت)، ص ١٤.

(٦٦) سليمان بن موسى بن سالم (ت ٦٣٤ هـ): الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية، ط ٢ (بيروت: ٢٠٠٠ م)، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٦٧) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٣٦. مع اختلاف في كلمة حلة، فقد ذكرها الكلاعي بـ (ملهى).

(٦٨) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٣٦. الكلاعي، **الاكتفاء**، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٦٩) شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت. ٧٤٩ هـ): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ٢٠١٠ م)، ج ٣، ص ٣٣٧.

(٧٠) العمري، **مسالك الأبصار**، ج ٣، ص ٣٣٨.

(٧١) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٤٧.

(٧٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧.

(٧٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧.

(٧٤) جلال الدين عبد الرحمن (ت. ٩١١ هـ): **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ١ مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة: ١٩٦٧م)، ج ٢، ص٩٤.

(٧٥) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٤٨.

(٧٦) محمد بن عبد الله بن محمد (ت. ٧٧٩ هـ): **الرحلة**، أكاديمية المملكة المغربية (الرباط: ١٩٩٧ م)، ج ١، ص ٢١٢.

(٧٧) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٤٧.

(٧٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧.

(٧٩) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٣٦ ؛ الكلاعي، **الاكتفاء**، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٨٠) **جامع ابن طولون**: بناه الأمير أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ، وأنتهى منه سنة ٢٦٦ هـ على جبل يشكر حين بنى القطائع، وصارت تقام فيه خطبة الجمعة. المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة: ١٢٩٤ هـ)، ج ٤، ص ٣.

(٨١) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج ٤، ٤٣ ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٤٩.

(٨٢) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٥١.

(٨٣) **سورة التوبة**، الآية (١٨).

(٨٤) يبدو أن البلوي قد أخطأ في ذكر السنة التي جدد فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي، إذ أن المعروف سنة التجديد هي سنة ٥٦٨ هـ. ينظر ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدم العلائي (ت. ٨٠٩هـ): **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة (بيروت: د. ت)، ج ١، ص ٦٩.

(٨٥) المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج ٤، ص ١٦.

(٨٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٦ ـ ١٧.

(٨٧) الرحلة، ج ١، ص ٢٠٣.

(٨٨) **نفيسة**: هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين)، دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق، وقيل مع أبيها. كانت من النساء الصالحات التقيات، يروى أن الإمام الشافعي لما جاء إلى مصر دخل عليها وسمع عليها الحديث، توفيت في مكانها المشهور بين القاهرة ومصر الذي يسمى بالمشاهد سنة ٢٠٨ هـ. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ): **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت: د. ت)، ج ٥، ص ٤٢٤.

(٨٩) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٥٢.

(٩٠) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٥٢.

(٩١) **القرافة**: خطة في الفسطاط من مصر، وقرافة بطن من المعافر نزلوها فسميت بهم، تُعَدّ مقبرة أهل مصر وبها أبنية جليلة ومحال واسعة وسوق قائمة، ومشاهد للصالحين وترب للاكابر. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٣١٧.

(٩٢) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٩٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧.

(٩٤) **المدرسة الصلاحية الشافعية**: بناها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ٥٧٢ هـ بجوار الإمام الشافعي وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة، وتعد تاج المدارس وأعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعي. السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٩٥) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٥٤.

(٩٦) **المدرسة الناصرية**: ابتدأها السلطان العادل كتبغا ولم يتم عمارتها، وفي سلطنة الناصر قلاوون الثانية أتم بناءها وعمارتها سنة ٧٠٣ هـ ورتب فيها درسا للمذاهب الاربعة. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢٦٥. وقال عنها المقريزي في أيامه "وأدركت هذه المدرسة وهي محترمة إلى الغاية يجلس بدهليزها عدة من الطواشية، ولا يمكن غريب أن يصعد اليها". يُنظر: **المواعظ والاعتبار**، ج ٤، ص٢٣٠.

(٩٧) العالم هو أبو الأصبغ عيسى بن مخلوف المغيلي. **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦١.

(٩٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٩.

(٩٩) **رحلة العبدري**، ص ٣١٤. وللمزيد عن نهر النيل يُنظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، ج ١، ص ٩٦ وما بعدها.

(١٠٠) **البيمارستان المنصوري**: بناه السلطان المنصور قلاوون في موقع ما بين القصرين، وهي في الأصل قاعة ست الملك الفاطمية، دام البناء فيه أحد عشر شهرا في سنة ٦٨٢ هـ، وقيل أن سبب بناءه هو أنه لما كان أميرًا خرج لغزو الروم فأصيب في دمشق فعالجه الاطباء من البيمارستان الزنكي، فنذر أن يبني بيمارستانا إن شفاه الله. المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ج ٤، ص ٢٦٨.

(١٠١) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٤٩.

(١٠٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٩ ـ ٥٠.

(١٠٣) **مسالك الأبصار**، ج ٣، ص ٢٨٢.

(١٠٤) الاهرامات: أبنية من الحجارة في غاية العلو متسعة الاسفل مستديرة الشكل، وقيل أن أحمد بن طولون سأل حكيما عن سبب بناءها فقيل له لحفظ جثة الملوك، ثم سأله عن كيفية حمل الحجارة فقال يبنون الهرم مدرجا ذا مراق فإذا فرغوا منه نحتوه. البكري، المسالك والممالك، ج ١، ص ٥١٢.

(١٠٥) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٥٠.

(١٠٦) العبدري، **رحلة العبدري**، ص ٣١٧ ـ ٣١٨.

(١٠٧) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٥٠.

(١٠٨) القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠ هـ): مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب (ليبيا: ١٩٧٥ م)، ص ١٦٧.

(١٠٩) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٣٦.

(١١٠) معجم البلدان، ج ١، ص ١٨٧.

(١١١) **رحلة العبدري**، ص ٢١٢.

(١١٢) الخطط، ج ١، ص ٢٩٧.

(١١٣) نلاحظ ذلك جليًا من وصف ابن جبير للمنار عندما وقف عليه "ومن أعظم ما شاهدناه من عجائبها المنار الذي قد وضعه الله عز وجل على يدي من سخر لذلك آية للمتوسمين وهداية للمسافرين لولاه ما اهتدوا في البحر إلى بر الإسكندرية، يظهر على أزيد من سبعين ميلاً.. يزاحم الجو سموا وارتفاعا يقصر عنه الوصف.. ذرعنًا أحد جوانبه الاربعة فألفينا فيه نيفا وخمسين باعا، ويذكر أن في طوله أزيد من مائة وخمسين قامة". **رحلة ابن جبير**، ص ١٥.

(١١٤) **المسالك والممالك**، ج ٢، ص ٦٣٦.
(١١٥) **رحلة العبدري**، ص ٢١٣.
(١١٦) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار**، ج ١، ص ٢٩٣.
(١١٧) ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله (ت. ٦٩٢هـ): **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، دار إحياء الكتب المصرية (القاهرة: ١٩٤٢ م)، ص ٤٤٨.
(١١٨) **مسالك الأبصار**، ج ٣، ص ٣٤١.
(١١٩) نص الكلام هو: "يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال عجائب الدنيا أربع مرآة معلقة بمنارة الاسكندرية، كان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر...". **البلدان**، ص١٢٦.
(١٢٠) يُنظر هذه المعلومات عند ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ١، ص١٨٦.
(١٢١) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٣٦. يذكر ابن رسته أن القبة تسمى القبة الخضراء كانت لفرعون، مرفوعة بستة عشر اسطوانة منقورة كلها من صخر، فيها تماثيل ونقوش. أبو علي أحمد بن عمر (ت٣١٠هـ): الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل (ليدن: ١٨٩١م"، ص ١١٧.
(١٢٢) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٢ ـ ٦٣. بينما اقتصر وصف الرحالة ابن بطوطة على الأسواق والمدارس. ينظر الرحلة، ج ١، ص ٢٣٩.
(١٢٣) العمري، **مسالك الأبصار**، ج ٣، ص ٥٥٢.
(١٢٤) **رحلة العبدري**، ص ٤٧٧.
(١٢٥) **مسالك الأبصار**، ج ٣، ص ٣٧٩.
(١٢٦) مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت. ٩٢٨ هـ): **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تحقيق عدنان يونس عبد المجيج، مكتبة دنديس (عمان: ١٩٧٣ م)، ج ٢، ٧٤. ومن مفاخر المدينة ولادة سيدنا سليمان (عليه السلام).
(١٢٧) **مسالك الأبصار**، ج ٣، ص ٣٧٩.
(١٢٨) المقريزي، **السلوك في معرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت: ١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٤٨.
(١٢٩) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٤. يتصف وصف البلوي لهذه المدينة بجمال الطبيعة ونقاء الهواء.
(١٣٠) **رحلة العبدري**، ص ٤٥٧.
(١٣١) **الرحلة**، ج ١، ص ٢٣٩.
(١٣٢) **مسالك الأبصار**، ج ٣، ص ٣٧٦.
(١٣٣) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٧. يعد هذا وصفا عاما، إذ أن مدينة القدس تشهر بزراعتها وكثرة منتجاتها فقد وصفها العليمي "وبظاهر مدينة القدس الشريف من كل جهة كروم بها من أنواع الفواكه من العنب والتين والتفاح وغيره". يُنظر: **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٥٩.
(١٣٤) **رحلة العبدري**، ص ٤٦٨. ويشابه وصف العمري لوصف العبدري حيث قال عنها: "ومدينة القدس مبنية بالحجر والكلس، وغالب حجرها أسود وهي وعرة المسالك". **مسالك الأبصار**، ج ٣، ص٣٧٥.
(١٣٥) **تاج المفرق**، ج ٢، ص ١٢٤. فصل البلوي الوصف عن هذه المدينة ما لم يفصله في مدن فلسطين الاخرى. بينما اقتصر وصف ابن بطوطة للمدينة بقوله "حسنة الاسواق". يُنظر: **الرحلة**، ج ١، ص٢٥٤.
(١٣٦) ناصر أبو معين الدين (ت. ٤٨١هـ): **سفرنامة**، نقلها إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب، ط٢، دار الكتاب الجديد (بيروت: ١٩٧م)، ج ١، ص ٥٤.
(١٣٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥.
(١٣٨) **تاج المفرق**، ج ٢، ص ١٢٤ ,
(١٣٩) **رحلة العبدري**، ص ٤٥٧.
(١٤٠) **الرحلة**، ج ١، ص ٢٥٢. لم يوضح كلاً من البلوي وابن بطوطة سبب خراب المدينة، وعند الرجوع للمصادر وجدنا أن السلطان صلاح الدين الايوبي قد خرب المدينة سنة ٥٨٧ هـ لأنها كانت عائقًا ضد المسلمين أبان الحملات الصليبية. العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٧٤.
(١٤١) **الرحلة**، ج ١، ص ٢٣٩.
(١٤٢) **الجاولي**: هو علم الدين سنجر الجاولي، كان بداية أمره نائبًا للشوبك إلى أن اختص بمرافقة السلطان الناصر قلاوون، ثم أصبح نائبًا على غزة والقدس، له أعمال جليلة منها تعمير الجوامع في الخليل وغيرها، وتعمير الحمامات والمدارس، توفي سنة ٧٤٥ هـ. يُنظر الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت. ٧٦٤هـ): **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت: ٢٠٠٠ م)، ج ١٥، ص ٢٩٢.
(١٤٣) **تاج المفرق**، ج ٢، ص ١٢٤.
(١٤٤) **رحلة العبدري**، ص ٤٧٦.
(١٤٥) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٤. زاد ابن بطوطة على وصف البلوي، أن سليمان (عليه السلام) أمر الجن ببنائه، كذلك اختلف مع البلوي في أن طول الصخرة سبع وثلاثون شبرًا. يُنظر: **الرحلة**، ج ١، ص ٢٣٩.
(١٤٦) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٤. بينما اكتفى ابن بطوطة بالإشارة إليها "وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس". يُنظر: **الرحلة**، ج١، ص ٢٣٩.
(١٤٧) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٥. بينما أغفل ابن بطوطة ذكر هذه الضيافة.
(١٤٨) **الأنس الجليل**، ج ١، ص ٦٣.
(١٤٩) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٨. وجاء وصف العمري له بشي من الفخر والاعتزاز "معهد الانبياء ومتعهد الاولياء، وثاني البيت الحرام في البناء، وأول القبلتين حال الابتداء، شيدت ملوك بني اسرائيل معاهده، وشدت بقباب البروج معاقده، ثم تدارك بنو أمية ذماءه، وصفحوا أرضه وسماءه". **مسالك الأبصار**، ج ١، ص ٢٠٧.
(١٥٠) **الرحلة**، ج ١، ص ٢٤٦.
(١٥١) **رحلة العبدري**، ص ٤٧٠.
(١٥٢) **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٧ ـ ٣١.
(١٥٣) **سورة الحديد**، جزء من الآية (١٣).
(١٥٤) عند الرجوع إلى كتب التفسير وجدنا هذا النص موجود عند الطبري، محمد بن جرير (ت.٣١٠ هـ): يُنظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر ولتوزيع، ط ١ (القاهرة: ٢٠٠١ م)، ج ٢٢، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.
(١٥٥) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٩.
(١٥٦) يُنظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي، ط٤، (بيروت: ٢٠٠٤م)، ج ١٠، ص ٣٧.
(١٥٧) **تاج المفرق**، ج ١، ٦٩. ويذكر العليمي أنه عبارة عن مجمع معقود بالحجر به محراب، وسمي بجامع عمر لأنه من بقايا بناء الخليفة عمر الذي جعله عند الفتح لبيت المقدس. **الأنس الجليل**، ج ٢، ١٢.
(١٥٨) **تاج المفرق**، ج ١، ٦٩. بينما سماه العليمي بمهد عيسى (عليه السلام). **الأنس الجليل**، ج ٢، ص١٣.
(١٥٩) يقع هذا المسجد قرب باب المغاربة. البلوي، **تاج المفرق**، ج ١، ٦٩. لم يذكر أحدًا من المؤرخين سبب التسمية، وأغلب الظن أنه لكثرة تواجد المغاربة من المذهب المالكي لهذا المسجد بدليل أن العمري قال عنه

"لغلبة هذا الاسم على ألسنة الجمهور". **مسالك الأبصار**، ج ١، ص ١٥٣. أما العليمي فذكره بأنه "مأنوس مهيب وفيه صلاة المالكية، والذي يظهر أنه من بناء عمر بن الخطاب رضي الله عنه". **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٥.

(١٦٠) البلوي، **تاج المفرق**، ج ١، ٦٩.

(١٦١) **كعب الأحبار**: هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، كان يهوديًا فأسلم وقدم المدينة أيام الخليفة عمر (رضي الله عنه) وكان يحدثهم عن الكتب الاسرائيلية ويأخذ السنن عن الصحابة، حدث عنه عدد من الصحابة وروى عنه عدد من التابعين، توفي في مدينة حمص في غزوه في خلافة عثمان (رضي الله عنه). الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ): **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الارناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٣ (بيروت: ١٩٨٥ م)، ج ٣، ص ٤٩٠ . ٤٩١.

(١٦٢) **شريك بن حماشة**: الاصح هو شريك بن خباشة النميري من بني عمرو بن نمير. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت. ٨٥٢ هـ): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ١٩٩٥ م)، ج ٣، ص ٣٠٩.

(١٦٣) محمد بن حبان (ت. ٣٥٤ هـ): **كتاب الثقات**، دائرة المعارف العثمانية، ط ١ (الهند: ١٩٧٣ م)، ج٤، ص ٣٦١.

(١٦٤) **الخسة**: هي بركة الماء التي أنشأها الأمير سيف الدين تنكز نائب دمشق سنة ٧٢٨ هـ، وهي كبيرة وملبسة بالرخام، وقام بعمارتها وعمل بها بركة هائلة ، وهي مرخمة ما بين الصخرة والاقصى. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر (القاهرة: ٢٠٠٣ م)، ج ١٨، ص ٢٩١. أما ابن بطوطة فلم يذكر هذ البركة سوى أن قال: "ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم، وجلب لها الماء في هذا العهد الامير سيف الدين تنكز أمير دمشق". **الرحلة**، ج١، ص ٢٤٦.

(١٦٥) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٩ . ٧٠.

(١٦٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٠. كذلك وصف العمري الذي جاء مستوعبًا لذلك، **مسالك الأبصار**، ج ١، ص ٢١٢ وما بعدها.

(١٦٧) قال عنها العبدري: "وفي وسط القبة الصخرة التي جاء ذكرها في الآثار وأنه عليه الصلاة والسلام عرج عنها إلى السماء، وهي صخرة صماء علوها أقل من القامة، وتحتها شبه مغارة على مقدار بيت صغير يعلو قدر القامة، وينزل اليه في درج، وقد هيئ اليه محراب وسي وأتقن" **رحلة العبدري**، ص ٤٧٢.

(١٦٨) بنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قبة الصخرة سنة ٦٦ هـ وبعث الكتب إلى الأمصار أنه يريد بناء القبة لتقي المسلمين من الحر والبرد، فجاءه جوابهم بالرضا، وأرصد لعمارتها مالاً كثيرًا قدر بخراج مصر لمدة سبعة سنين. العليمي، **الأنس الجليل**، ج ١، ص ٢٧٣.

(١٦٩) هو السلطان الناصر قلاوون، قام بهذه الأعمال في ولايته الثالثة (٧٠٩ . ٧٤١ هـ) وهي كثيرة جدًا فيما يخص المسجد الاقصى ومسجد قبة الصخرة، منها أنه قام بتذهيب قبتي الاقصى والصخرة قبل عام ٧٢٠ هـ، وهي في غاية الحسن والروعة إلى عصر العليمي حتى أن الذي يشاهده يظن أنه فرغ منه توا. العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٩٢.

(١٧٠) علق العليمي على هذا الكلام بقوله: "والمشهور عند الناس أن الصخرة معلقة بين السماء والأرض، وحكى أنها استمرت على ذلك حتى دخلت تحتها حامل، فلما توسطت تحتها خافت فأسقطت حملها فبنى حولها هذا البناء المستدير حتى استتر أمرها عن أعين الناس". **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٨ .

(١٧١) عبارة عن حجر صغير محمول على ستة أعمدة صغار، قيل انه أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج. العمري، **مسالك الأبصار**، ج ١، ص ٢١٤.

(١٧٢) ذكر العبدري أن على الصخرة شباكان محكمان يلقان عليها، أحدهما وهو الخارج من خشب، والثاني من حديد أو صفر محكم العمل بديع الصنعة. **رحلة العبدري**، ص ٤٧٢.

(١٧٣) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٧٠ . ٧١.

(١٧٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧١.

(١٧٥) **قبة السلسلة**: قام ببنائها الخليفة عبد الملك بن مروان، وهي تسمى القبة الصغيرة تقع شرقي قبة الصخرة، وأمر بأن تكون على هيئة قبة الصخرة، وتعد في غاية الظرف على عمد من رخام فيها سبعة عشر عمودًا من الرخام غير عمود المحراب. العليمي، **الأنس الجليل**، ج ١، ص ٢٧٣. ويذكر العمري أن سليمان (عليه السلام) جعل سلسلة معلقة من السماء إلى الأرض ليتبين المحق من المبطل، فالمحق ينالها والمبطل لا ينالها. **مسالك الأبصار**، ص ٢١٨.

(١٧٦) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٧١.

(١٧٧) **سورة الأنبياء**، الآية (٧٩).

(١٧٨) المشهور أن السلطان الظاهر بيبرس جدد بناء قبة السلسلة سنة ٦٥٨ هـ، فقد زخرفها وأنشأ بها خانًا للسبيل، نقل بابه من القاهرة، وبنى به مسجدًا وطاحونًا وفرنًا وبستانًا. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت. ٨٧٤هـ): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ط١ مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة: ١٩٣٢م)، ج٧، ص ١٩٤.

(١٧٩) **مسالك الأبصار**، ج ١، ص ٢١٨.

(١٨٠) لم يذكر البلوي اسم المسجد لكن العليمي ذكره صراحة باسم مسجد النساء اذ قال عنه "من جهة الغرب مجمع كبير معقود بالأحجار الكبار وهو كوران ممتدان شرقا بغرب ويسمى هذا المجمع جامع النساء وهو عشر قناطر على تسع سواري في غاية الاحكام". **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ١٣.

(١٨١) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٧٢.

(١٨٢) **قبة الركن المشرقي**: وهي قبة الطومار التي تقع طرف صحن الصخرة من جهة القبلة مما يلي الشرق، وسبب تسميتها بالطومار هو أن أحد الملوك الاعيان حضر للقدس وصعد إلى جبل طور زيتا ورمى بالطومار، فسقط في موضع هذه القبة فأمر ببنائها، فسميت بقبة الطومار. العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢٣.

(١٨٣) **قبة المعراج**: تقع عن يمين الصخرة والصحن من جهة الغرب، وهي قبة مشهورة مقصودة للزيارة، قام بعمارتها الامير الاسفسهالار عز الدين سعيد السعداء أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي، متولي القدس في سنة ٥٩٧ هـ، وكان موضعها سابقا قبة قديمة فدثرت ثم جددت هذه القبة. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٠.

(١٨٤) **قبة موسى البديعة**: تقع أمام باب السلسلة وأمام رواق الحنابلة. العمري، **مسالك الأبصار**، ج ١، ص٢٢٩. إلا أن العليمي يؤكد أنها ليست قبة موسى (عليه السلام) ولم يصح خبر في نسبتها إليه، والذي أمر بعمارتها السلطان نجم الدين أيوب في سنة وفاته التي هي ٦٤٨ هـ، وكانت تُعرف قديمًا بقبة الشجرة. **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٢١.

(١٨٥) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٧٢.

(١٨٦) **جبل الطور**: يسمى طور زيتا، وهو الجبل الشرقي عند بيت المقدس، جبل عظيم مشرف على المسجد الاقصى. العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٦٠.

(١٨٧) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٧٣.

(١٨٨) **رابعة العدوية**: هي رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية أم الخير، كانت مولاة لآل عتيك، صالحة مشهورة وكانت من أعيان عصرها، اشتهرت بالصلاح والزهد والخوف من الله عز وجل، توفيت سنة ١٣٥ هـ وقبرها بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل الطور. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج ٢، ص ٢٨٥.

(١٨٩) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٧٣.

(١٩٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٣.

(١٩١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٣.

(١٩٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٤.

(١٩٣) أكد العليمي ذلك التاريخ بأن الجامع الابيض تم تجديده زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٦هـ، على يد رجل اسمه الياس بن عبد الله أحد جماعة الامير علم الدين قيصر عين الأمراء في الدولة الأيوبية. **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٦٩.

(١٩٤) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ): **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال (بيروت: ١٩٨٨ م)، ص١٤٥.

(١٩٥) رجاء بن حيوه: أبو المقدام رجاء بن حيوه بن جرول الكندي، من العلماء وكان من جلساء الخلفاء ويذكرهم وينصحهم، اشتهر بعلمه وتواضعه، توفي سنة ١١٢ هـ. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج ٢، ص ٣٠٣.

(١٩٦) **مسالك الأبصار**، ج ٣، ص ٣٨٣.

(١٩٧) **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٦٩.

(١٩٨) **يافا**: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا، وهي بلد قحط والمولود فيها قل أن يعيش، أفتتحها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٥، ص ٤٢٦.

(١٩٩) العليمي، **الأنس الجليل** ، ج ٢، ص ٦٩.

(٢٠٠) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٧٢.

(٢٠١) **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٥ وما بعدها.

(٢٠٢) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٦٩.

(٢٠٣) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٤.

(٢٠٤) النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت. ٩٢٧هـ): **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١ دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤١٠هـ)، ج١، ص ٣٢٧.

(٢٠٥) إشارة إلى **سورة الإسراء**، الآية (١).

(٢٠٦) **سورة المزمل**، جزء من الآية (٢٠).

(٢٠٧) **تاج المفرق**، ج ١، ص ٧٢.

(٢٠٨) **تنكز**: سيف الدين أبو سعيد نائب السلطنة بالشام، اشتراه السلطان حسام الدين لاجين ثم انتقل للسلطان الناصر وشهد معه معارك الخازندار وشقحب ضد المغول، تولى النيابة سنة ٧١٢ هـ وكانت له أعمال جليلة منها اعمار جامع حكر السماق وانشاءه تربة وحمام وعمر دارا للقرآن، وأنشأ بالقدس رباطًا وبالجملة كان كريمًا آمرًا بالمعروف، توفي سنة ٧٤١ هـ. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج ١٠، ص ٢٦٦.

(٢٠٩) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٨، ص ٣٢١.

(٢١٠) العليمي، **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٥.

(٢١١) **الدارس**، ج١، ص ٤٧.

(٢١٢) محمد بن عبد الرحمن (ت. ٩٠٢هـ): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، ط١ (بيروت: ١٩٩٢م)، ج ٤، ص ١٩١ ؛ **الأنس الجليل**، ج ٢، ص ٣٥.

(٢١٣) **خليل بن كيكلدي**: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي، ولد بدمشق سنة ٦٩٤ هـ، اشتهر بسماع الحديث حيث سمع صحيحي مسلم والبخاري سنة ٧٠٣ هـ، ثم طلب الحديث بنفسه سنة ٧١١ هـ، وله كتب مفيدة في الحديث، تولى التدريس بالمدرسة السيفية بالقدس سنة ٧٣١ هـ إلى أن مات سنة ٧٦١ هـ. ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق (القاهرة: ١٩٧٥م)، ج ٢، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٢١٤) **صلاح الدين العلائي**: من علماء القدس اشتهر بعلمه ومصنفاته وتخريجه للاحاديث، تولى التدريس بمدرستي الصلاحية ودار الحديث لمدة ثلاثين سنة، توفي سنة ٧٦١ هـ. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٨، ص ٦٠٠.

(٢١٥) ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٩١.